

تصدرها رابطة العالم الإسلامي
مكة المكرمة



تأليف
السيد أحمد المخزنجي

السنة العاشرة - العدد ١٠٨ - العام ١٤١١ هـ - ١٩٩١م



اهـــداء

الى البشرية التائهـة
في عالمنا المضطـرب
علها تهتدي الى الحق المبين !!

بســـم الله الرحمـن الرحيـــم

﴿إن الدين عند الله الاسلام﴾

﴿ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾

آيتي (١٩ ، ٨٥) (سورة : آل عمـران)

هذا الكتاب

قد يتساءل البعض عن مدى أهمية تلك الدراسة وجدواها ، والهدف الذي سعيت اليه من تأليفها .. وربما يقول آخرون : ان الكتابة في «الاسلام» أو عنه كثرت بشكل ملحوظ يدفع إلى القول بأن كثيراً من الكتابات التى تجيء اليوم هي من قبيل القول المكرر المعاد ، مما يخلع عليها ــ أو معظمها ــ وصف التقليدية والرتابة التى قد يسأم الكثيرون منها ، والتي تكاد لا تضيف جديدا الى علم القارىء أو تبصيره بأمور قد لا تخفى عليه !

بل ربما يبلغ الظن بهؤلاء أننا نقدم للقارىء في (دعوة الحق) كتابا يحمل في طياته مجموعة من المثل والأقوال الوعظية والمبادىء الاصلاحية للبشرية ينفذ غرضها ــ في نهاية الأمر ــ عند مجرد الدعوة الى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولئن كانت الدعوة إلى هذا الغرض في حد ذاته أمرا لا غبار عليه .

ومن الجائز أيضا أن يقول بعض المثقفين الاسلاميين اننا اليوم لسنا بحاجة إلى كتاب اسلامي «تنظيرى» بقدر مانحن بحاجة إلى باحث يتناول قضايا أو يناقش أفكارا تمس صميم دعوتنا وعلمنا الاسلامي ، وتعالج مشاكلنا في ضوء مستجدات هذا العصر !

أو يضيف آخرون : اننا بحاجة الى «مخلص» يخلصنا من مشكلاتنا وأوجاعنا وتمزقاتنا وفرقتنا واختلافنا فيما بيننا ، فضلا عن ذلك الصراع الدائر في عالمنا الاسلامي بين تلك الأيديولوجيات العقائدية والأنظمة السياسية والعسكرية التى تتكالب على حب السيطرة والبقاء وممارسة التمييز العنصري والطائفي ضد الأقليات المسلمة ــ بالذات ــ على مستوى قارات العالم «الخمس» !! قد يقول البعض هذا أو ذاك !

ونحن نقول لهؤلاء وأولئك نعم : ان ذلك مايناقشه ويحلله هذا الكتاب بالفعل ، على اتساع فصوله وامتداد صفحاته .. الى جانب أننا لا نتناول «الاسلام» هنا على أنه مجرد «تراث» بالمعنى الذي تشير اليه هذه الكلمة باعتباره مجموعة من القيم الأخلاقية السامية وأنه شيء عظيم ــ وهو كذلك ــ تركه سلفنا الصالح لكي نتغنى به أو نتشدق بمآثره وأمجاده ، والاكتفاء بالحديث عنه بأسمى كلمات الاعزاز والثناء في المناسبات الدينية (الرسمية) .. كلا ليس هذا هدفنا من الكتاب .

ولكننا نحاول أن نميط اللثام عن حقيقة موقفنا العملي (التطبيقي) للقواعد والأصول الاسلامية على خارطة واقعنا الاجتماعي الاسلامي المعاصر .

أو بعبارة أخرى المطالبة باعادة صياغة موقفنا من تلك الأصول ماذا نطبق منها ؟ وعن أيها نتكاسل ونتقاعس عن التطبيق ؟!

ونحن مع القائلين والمعترفين بأن (ماأصاب العقل المسلم اليوم من صدوع ورضوض وكسور وتقطيع فصده عن المضي الى غايته ، وحال بينه وبين أداء رسالته ، لا يمكن أن يعالج بكتاب أو مقال أو محاضرة أو بحث ، وإنما يتعلق الموضوع بصميم المشكلة الثقافية ، والمناخ الثقافي أو عالم الأفكار الذي يشكل المحضن الصحي والضروري لاعادة تشكيل العقل وتربيته ومنحه القدرة على العطاء والحماية من الانكسار) [١] .

ومن ثم تأتي كلمتنا ــ في هذا المقام ــ رغبة مشبوهة في ازاحة ماغبش على أعين البعض وران على بصيرتهم وخدر عقولهم تجاه عدم ادراكهم لخطورة فصل الاسلام ومنهجه العملي عن الواقع الحياتي والاجتماعي المعاش ، ومحاولة نظر كثيرين اليه ــ بل ــ جعله مجرد «يوتوبيا أخلاقية» !! Moral Utopia .

اننا نحاول في ضوء المطالبة باعادة تشكيل موقفنا العملي تجاه «الأصول»

---

(١) عمر عبيد حسنه في تقديمه لكتاب : حول اعادة تشكيل العقل المسلم ، «كتاب الأمة» سلسلة تصدرها رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر ، ١٤٠٣ هـ ، ص : ٩ .

الاسلامية ، من منظور العلاقة الجدلية بين «التنظير» و «التطبيق» التأكيد على ضرورة تطبيع واقعنا المعاصر بتلك القواعد والأصول ، وتحويله — من ثم — من حالة «الفصام» والتخبط والتيه الى واقع حيّ وترجمة عملية ريثما نصل الى التصحيح والتغيير . اذ من المسلم به ﴿**ان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾ [٢] .

وان كنا في الوقت نفسه نبحث عن «كم» يكون حجم الوعي ودرجته المئوية — ان جاز التعبير — بين مانعلم ومانعمل أو نطبق من تلك «الأصول» اذا ماقسناه بمقياس الايمان الأمثل ؟

لقد فهم كثير من المسلمين في عصرنا هذا عملية التغيير فهما خاطئا ، وتصورها مجرد تجديد للتوثب الروحي أو اعادة التزام بحشد من القيم الخلقية ، أو السلوكية التى دعا اليها الاسلام .

(لكن ماينبغي أن يقر في الذهن : ان التغيير الذاتي عملية شاملة تغطي الطاقات البشرية كافة : عقلية وروحية وأخلاقية وسلوكية وجسدية .. الخ ، وأى تجزىء في الرؤية أو الموقف يقتل المحاولة في المهد) [٣] .

ومن ثم ، فليس غريبا أن يجيء الكتاب مؤكداً في ثنايا صفحاته وجود «نماذج» طبقت بالفعل في زمانها في بدايات عهد الدعوة الاسلامية ، فكانت تجسيدا حيا عمليا وتاريخيا ودليلا واضحا لامتزاج واقتران المثل بالتطبيق .. القول بالفعل ، في اطار أصول «المنهج الاسلامي العظيم الصالح لكل زمان ومكان .

وتأسيسا على ذلك نرى — مع آخرين [٤] — أنه لابد من ثقافة عامة ونظرة شمولية وعقل مرتب متوازن قادر على النظرة العامة الى جانب التخصص العلمي ببعض الجوانب .. فالعلم شيء والثقافة التى تستطيع توظيف هذا العلم والافادة

---

(٢) سورة الرعد الآية : ١١

(٣) د . عماد الدين خليل ، نحو اعادة تشكيل العقل المسلم كتاب الأمة ، المرجع السابق ، ص : ١٤٠ — ١٤١ .

(٤) عمر عبيد حسنه ، «كتاب الأمة» ، المرجع السابق ، ص : ١١ ، ص : ١٧ من «التقديم» .

منه شيء آخر .

لقد طرح الاسلام من خلال القرآن والسنة رؤية جديدة للحياة رؤية تبدأ في داخل الانسان : في عقله وقلبه ، وروحه ووجدانه ، وغرائزه وميوله ، وتنتهي في خارجه لكي تصوغه انسانا جديدا متفوقا قادرا على التغيير المطلوب في بنية العالم (الاسلامي) والتحكم من خلال ماأبصر من السنن التي شرعها الله بالحركة التاريخية لاعادة البشرية الي المنهج المتوافق مع سنن الله عز وجل .

وأجزم بيقين أن ذلك ممكن اليوم ــ بالنسبة لنا نحن المسلمين ــ بشرط أن تخلص النوايا ويصدق العزم في هممنا ومقاصدنا ، على أن نقرن القول بالفعل ،الواقع بالمثال ، فعصرنا يتمتع بهذا الزخم من المستحدثات والامكانات المادية والبشرية ووسائل الاعلام والاتصال التى لم يكن للاسلام بها عهد يوم نزوله على قلب «نبى» البشرية صلى الله عليه وسلم منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام !

ان اعادة النظر بوسائل الدعوة وتطويرها حسب حاجات العصر ومن خلال مشكلاته ، وعدم الضرب في الحديد البارد ــ على حد قول الأستاذ عمر حسنه ــ وجعل الاختصاص في خدمة العقيدة والتقدم في قضية الدعوة واكتشاف المنابر المؤثرة ، والمواقع الجديدة التى أخذت مكانا ومكانة في المجتمع الحديث ، والقدرة على دراسة شبكة العلاقات الاجتماعية والاقتناع بأن التفوق العلمي والتخصص النادر الذي يتحصن صاحبه بالدين القويم هو المطلوب لأمتنا الاسلامية في هذا العصر بشكل ملح ، بل أصبح ضرورة لا غنى عنها في مجتمع اليوم .

من عمق استيعابنا ووعينا بمرامي وأهداف وفلسفة تلك القواعد و «الأصول» التى جاء بها هذا الدين الحنيف لتكون منهج الله الى الناس في الأرض : **﴿ان الدين عند الله الاسلام﴾** [٥] ، **﴿ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه**

(٥) سورة آل عمران ، الآية /١٩ .

وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ [٦] . وهو نعمة الله السابغة على عباده **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا﴾** [٧] .

من هذا المنطلق جاء هذا الكتاب «في ظلال الرسول محمد ودعوته» أحمل من خلاله مصباح الحكمة لعلي أضيء به سردابا في مدارج السالكين ، وأتحمل في الوقت نفسه المسؤولية كاملة عما ورد فيه من أفكار وآراء واجتهادات ان أصابت قصد الصواب كان لها من الله أجران ، وان جانب التوفيق بعضها ذلك القصد ، كان لنا فيه ثواب الاجتهاد والمحاولة[٨] فالكمال لله وحده ، **﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾** [٩] .

﴿ان أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله . عليه توكلت وإليه أنيب﴾[١٠]

---

(٦) سورة آل عمران ، الآية /٨٥ .

(٧) سورة المائدة ، الآية /٣ .

(٨) روى الامام مسلم في صحيحه من حديث أبي قيس مولى عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ قال : **«اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، واذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»** .

(٩) سورة يوسف ، الآية /٧٦ .

(١٠) سورة هود ، الآية /٨٨ .



منهج الكتاب

نود الاشارة ــ بادىء ذي بدء ــ الى أن فصول هذا الكتاب الثمانية عبارة عن سياحة فكرية «في ظلال الرسول محمد ودعوته» تعكس وجدان الكاتب المؤمن الواعي بجوانب وأبعاد تلك الشخصية المحمدية العظيمة ، فيما عرض وتعرض له من مواقف وأحداث على امتداد تاريخ دعوة الاسلام التى حملها ﷺ .

ومن ثم فقد قسمت الكتابة الى قسمين رئيسيين القسم الأول : في السيرة والدعوة ، ويتضمن أربعة فصول هي : الرسول ﷺ وشخصيته : أوصافه ، صفاته النبوية ، أقوال الكتاب المعاصرين فيه ، ثم التعظيم الحقيقي للنبي .. كيف يكون ؟

(منهج القرآن في الدعوة وأهدافه) :

وتحدثت فيه عن وجوب الدعوة إلى الله ، انطلاقا من أمر الله وصدعا به ، أهم شروط الداعية الاسلامي ، وكذلك أسلوب الداعية مع غير المسلمين ، ثم بينت «منهج الرسول ﷺ في دعوته أهل الكتاب .

كما أوضحت أيضا مدى بطلان دعوى اكراه الاسلام لغير المسلمين وأشرت لأهداف الدعوة في القرآن والسنة .

بعد ذلك تحدثت عن (الاسلام واعداد الشباب) ودوره في التوجيه التربوي في هذا الصدد من خلال ماركز عليه ودعا اليه من وجوب الأدب مع الآباء والأمهات ومعاملتهم بالاحسان والحسنى ، وبذل الخير والمعروف لهم ، وعدم مخالفة أوامرهم الا في معصية تغضب الله ورسوله .

كما تحدثت عن الدستور الأمثل الذي رسمه الاسلام للشباب وحدد

ملامحه العامة ، ومعالمه الأساسية من خلال جملة من (آداب السلوك الاخلاقي والاجتماعي في سورة النور) .

وأنتهيت من ذلك كله الى أن الاسلام لم يقف باعداد الشباب عند هذا الحد ، وانما كانت له آثاره التربوية العقائدية الرائعة الرائدة التى تركت بصماتها جلية في مواقف ووقفات لـ «نماذج من الشباب حول النبي» ، ضربت من نفسها أروع الأمثلة للبطولة والتضحية والدفاع عن عقيدتها الاسلامية دفاعا حرا مستميتا ، فقد افتدت هذه الجماعة الاسلام ورسوله بأرواحها الطاهرة ونفوسها الزكية ، فأضحت ــ بغير شك ــ «نماذج» تحتذى ، نستمد منها الدروس ونستخلص العبر .

واكتفيت في ذلك بأربعة من تلك النماذج ممن صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، لعلنا نخلص من خلال استقراء مواقفهم البطولية والفدائية الى وضع النقاط على الحروف كما يقولون .

هؤلاء الرجال الأربعة هم : علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، بلال بن رباح الحبشي ، رضي الله عنه ، أبوذر الغفاري ــ مبلغ دعوة النبي الى قومه في «غفار» ــ ثم مصعب بن عمير سفير الدعوة في عهد النبي صلى الله ﷺ ، وشهيد الاسلام في معركة «أُحد» الذي كان يردد قول الله تعالى : ﴿**وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل**﴾ (سورة آل عمران ، الآية : ١٤٤) .

أما الفصل الرابع من هذا القسم الأول فقد خصصته للحديث عن (دروس من غزوة حنين) مقدماتها وأسبابها ، ثم ناقشت لماذا انهزم المسلمون في تلك الغزوة أول الأمر . وأوضحت بعد ذلك حكمة الرسول ﷺ في رد الغنائم وتوزيع الفيء هناك .

القسم الثاني : الاستشراق والمستشرقون . وقد قسمته الى أربعة فصول أيضا ، كانت على النحو التالي :

الاستشراق : حقيقته وأهدافه ، بدأته بـ «مدخل» أشرت فيه الى خطأ بعض

كتابنا الذين يلجأون ـــ وهم في معرض حديثهم عن الاسلام وعظمة نبيه صلى الله عليه وسلم ـــ لأقوال وكتابات هذا الصنف من المستشرقين الذين يفترون على الاسلام ورسوله ، دون التفات منهم لما يعتور كتاباتهم الاستشراقية الشاذة من خطأ وخطل كبير .

فالاستشراق ـــ كما يقرر جمهرة الباحثين ـــ لعب دوراً تضليليا تاريخيا ضخما في حياة المسلمين وتاريخهم وثقافتهم ودينهم اذ تغلغلت الكتابات الاستشراقية المتعددة الجوانب في حياة الأمة خلال قرن كامل ، بحيث نفذت الى كل جزئية من جزئياتها ، فلا يدرك خطرها الا العالم الخبير الموازن بين حقائق الاسلام وأوضاعه الحضارية وبين مزاعم المستشرقين ودراساتهم لها .

ولعل في هذا مايكشف لنا عن أهداف الاستشراق الدينية (التعصبية) التى كانت تسير ـــ منذ البداية ـــ في اتجاهات ثلاث : محاربة الاسلام والزعم بأنه «دين» مأخوذ من النصرانية واليهودية وحماية النصارى مما كانوا يعتقدونه من خطر يتهددهم بسبب الاسلام وسعيهم الدؤوب في حجب حقائقه عنهم ، ثم محاولتهم التبشير وتنصير المسلمين !!

انتقلت بعد ذلك الى الحديث عن (المستشرقون والقرآن الكريم وكشفت أخطاءهم في نسب القرآن ـــ كلام الله ـــ (لمحمد) صلى الله عليه وسلم ، وادعاءهم بنحل القرآن من الكتب السماوية الأخرى ، وقبل هذا أشرت لبداية الحملة على القرآن الكريم ، وجهود المناهضين للاسلام قديما وحديثا لمحاولتهم زعزعة الاعتقاد في صحة القرآن وفي مصدره كوحي من الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام .

والأدهى من ذلك وأمر ماصادفنا في هذه النقطة من البحث من وجود كتاب عرب «ومسلمون» يشاركون في هذه الحملة الشعواء على كتاب الله ﴿**الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . تنزيل من حكيم حميد**﴾ (سورة فصلت الآية : ٤٢) .

كان لابد لنا اذن من قلب «العملة» على وجهها الآخر ــ وجهها الصحيح ــ فأوردت أمثلة من ردود لجانب من المستشرقين المنصفين على ماادعاه نظراءهم وأخطأوا فيه تجاه القرآن الكريم .. وجعلت عنوان هذا «مستشرقون يردون» !

وختمت هذا الفصل ــ السادس ــ بالحديث عن «القرآن وخصائصه» وبيان موقفه ــ والرسول ﷺ ــ من (الشعر) وقلت فى ذلك : ان القرآن الكريم لم يحارب الشعر لذاته في الأحكام التي جاء بها ، وانما حارب «المنهج» الذي سار عليه الشعر والشعراء ، منهج الأهواء والانفعالات التي لا ضابط لها ولا رابط ، ومنهج الأحلام المهمومة التى تشغل أصحابها عن تحقيقها .

هذا هو الموقف الحقيقي للاسلام والرسول من الشعر والشعراء على الاجمال والاختصار ، وليس صحيحا مازعمه «أميل درمنغم» هذا المستشرق الجاهل ، أن محمدا ﷺ كان كارها للشعراء محترزا منهم !

أما الفصل الثامن والأخير ، فقد تحدثت فيه عن (المستشرقون والنبي محمد) حيث أشرت فيه الى ان هجوم المستشرقين المغرضين وأشياعهم من العرب «غير» المسلمين لم يتوقف على القرآن الكريم فحسب وانما «الرسول أيضا يهاجمونه» !

وأبرزت دوافع هجومهم المسعور في هذا الشأن . وكان «منهجي» في دحض افتراءات المستشرقين و «أذنابهم» من كتاب عرب «ومسلمين» مرتكزا على الآراء والأقوال الموضوعية «المجردة» للكتاب والمفكرين المستشرقين المنصفين ، وهو «المنهج» العلمي المطلوب في هذا المقام ، وليس الدفاع المؤسس على العواطف والخلجات النفسية الجياشة التي لا يقبلها عقل المجادل اللدود ، ولا يسلم بها في نفس الوقت منطق المحاور «الخارج» عن الملة أو المخالف للرأي !

وعطفت على ذلك بالشطر الآخر للمنهج والمتمثل في الاحتجاج بالنص القرآني ذاته (الدليل النقلي) في مواجهة كل تلك الترهات والأباطيل والأقاويل الكاذبة الخاطئة التي حاول بها البعض الافتراء على النبي محمد ﷺ . وهو ماأسميته «دفاع القرآن عن النبي» .

وعقيدتي أن الاسلام ورسوله سيظل يحارب من جانب هذه الطغمة «المستشرقة» الحاقدة المغرضة التى تتربص به الدوائر . ولكن الله غالب على أمره ، وناصر دينه ورسوله ومنهجه بحسب أنه الدين الخاتم والرسول الذي لا نبي بعده .

لكن هذا مشروط بوجود فئة أو جماعة مسلمة هي التي عناها وعينها الله تعالى في كتابه العزيز ، تظل تعمل على نسق ماقرره القرآن الكريم وأوضحه في سورة «التوبة» .

في قوله تعالى **﴿وماكان المؤمنين لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون﴾** التوبة الآية ١٢٢

وكذلك قوله تعالى **﴿واعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾**(١٠) .

وهذا ماجعلنا نرى الحاجة ماسة اليوم الي فقه اسلامي معاصر للسيرة والدعوة يتمثل في الاستفادة من (فهم) واستيعاب منهجها الذي جاءت به لهداية هذه الأمة الاسلامية في شتى بقاع الأرض على يد صاحبها المعصوم ، صلى الله عليه وسلم ، المؤيد بوحي الله تعالى في كتابه العزيز .

من هنا تجيء هذه الفصول المتواضعة من هذا الكتاب لا لتعيد «نسخ»

---

(١٠) سورة الانفال الآية /٦٠ .

السيرة ، ولا لتكرار القول المشبوب بالعواطف ـــ مجرد العواطف ـــ والانفعالات الجياشة ازاء تلك الجوانب المضيئة منها وكفى !

وانما جاءت تستحث الهمم والسواعد المسلمة الشابة وتستلفت أنظار الباحثين والمفكرين المعنيين بمستقبل هذا الدين ومستقبل أهله الى حقيقة «الدور» الايجابي المطلوب نحو تمكين هذا المنهج الأيديولوجي من واقعنا الاسلامي المعاصر ، تمكين يقوم على فقه ووعي المسلم المعاصر الذي لا يقف من «فهم» أو فقه التدين عند حد ظواهر النصوص وقوفا جامدا متحجرا زعما من عند البعض ـــ معاذ الله ـــ أن هذا هو مراد الله تعالى في هذه «المسألة» أو تلك .. تعالى عما يقولون علوا كبيرا !!

وهكذا نخلص الى القول : اننا في هذا الكتاب لا نعيد كتابة السيرة والدعوة وانما نسعى جاهدين الى «فقه» حقيقي لهذه الجوانب من السيرة لكي نترسمه ونتأسى به في سلوكنا ومنهج حياتنا بل وواقعنا الاسلامي ككل ، في ضوء البحث عن أصح السبل لترجمة هذا «الوعي الجمعي» ـــ ان جاز التعبير ـــ بهذه «الظلال» المحمدية النبوية الشريفة وتحويلها ـــ من ثم ـــ الى أسلوب عملي تطبيقي في واقعنا المعاصر .

«ولله الأمر من قبل ومن بعد»

الفصل الأول

الرسول ﷺ وشخصيته الشريفة

* مفتاح شخصيته ﷺ .
* أوصافه وصفاته النبوية .
* أقوال الكتاب المعاصرين فيه .
* التعظيم الحقيقي للنبي .. كيف يكون .. ؟

الرسول ﷺ وشخصيته الشريفة

من مبلغ عني الرسول محمدا	بانك حق والمليك حميـــد
وأنت امرؤ تدعو الى الحق والهدى	عليك من الله العظيم شهيد
وأنت امرؤ بوئت فينا مبادة	لها درجـات سهلـة وصعـود
فانك من حاربتـــه لمحارب	شقـي ومـن سالمته لسعيـد
ولكن اذا ذكرت بدرا وأهله	تأوب مالى : حسرة وقعـــود

(السيرة النبوية : ابن هشام ١ /٦٦٠)

مفتاح شخصيته (ﷺ) :

نقف في هذا المقام على عدة جوانب من جوانب العظمة التي تتمتع بها شخصية الرسول محمد ، والتي نعدها ــ فيما يلي ــ مفتاحا لشخصيته العظيمة وقبسا من أخلاقه الشريفة ﷺ . وسنرى من خلال ذلك كله الى أى مدى تتطابق تلك الأخلاق النبوية مع ماوصفته به السيدة خديجة رضي الله عنها حينما قالت تواسيه وتؤاذره ، (انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل [•] ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق) [١]

لقد وصفه ربه في كتابه العزيز فقال عنه **﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾**[٢]

(•) الكل : بفتح الكاف ، هو من لا يستقل بأمره ، كما في قوله تعالى **﴿وهو كل على مولاه﴾** : النحل /٨٦ . وتكسب المعدوم : أى تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك ، وتقرى الضيف : أى تطعمه وتكرمه ، وتعين على نوائب الحق : أى تكون الساعد المعاون لمن تحل به نازلة !

(١) فتح البارى : ابن حجر العسقلاني ، ط : دار الفكر العربي ، القاهرة ، «كتاب بدء الوحي» ١ /٢٢ ــ ٢٣ .

(٢) سورة القلم ، آية : ٤ .

وكان ﷺ قرآنا يمشى على الأرض ، ولا غرو في ذلك ، فقد كان — كما وصفته السيدة عائشة رضى الله عنها — (خلقه القرآن) [٣] . بلغ حرص نبي الاسلام على أمته ما بلغ ، فالله عز وجل يقول في حقه **﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾** [٤] .

تحكي كتب السيرة والسنة في ذلك أن أشد يوم عليه — صلوات الله وسلامه عليه — كان يوم العقبة ، اذ ذهب يعرض رسالته ومايأمر به على نفر من ثقيف ، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم ، فلما جلس يتحدث اليهم في هذا الشأن لم يجيبوه وأعرضوا عنه .

قال ابن اسحاق [٥]: ان الله عز وجل أمر رسوله ﷺ أن يصدع بماجاءه منه ، وأن ينادى الناس بأمره ، وأن يدعو اليه . قال تعالى له : **﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾** [٦] ، وقال تعالى **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾** [٧] . وكان أصحاب رسول الله ﷺ اذا صلوا ذهبوا في الشعاب — وهى أماكن بعيدة عن أعين المشركين والكفار من أهل مكة — فاستخفوا بصلاتهم من قومهم ، فبينما سعد ابن ابي وقاص في نفر من أصحاب رسول ﷺ ، في شعب من شعاب مكة ، اذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم (أى استنكروا عليهم صنيعهم هذا) وعابوا عليهم مايصنعون حتى قاتلوهم . فاشتد البلاء على رسول الله ﷺ ، من سفهاء قومه وتجرؤوا عليه فكاشفوه بالأذى .

فخرج رسول الله ﷺ الى الطائف رجاء أن يؤوه وينصروه على قومه ويمنعوه منهم ، ودعاهم الى الله عز وجل فلم ير من يؤوى ولم ير ناصرا ، وآذوه — مع

---

(٣) تفسير ابن كثير ، ط : دار الشعب ، القاهرة ، ٨ /٢١٤ .

(٤) سورة التوبة ، آية : ١٢٨ .

(٥) السيرة النبوية لابن هشام ، بتحقيق : مصطفى السقا وآخرين ، ط : بيروت ، ١ /٢٦٢—٢٦٣ .

(٦) سورة النحل ، آية : ٩٤ .

(٧) سورة الشعراء آيتى : ٢١٤ ، ٢١٥ .

ذلك ــ فاشتد الأذى ، ونالوا منه مالم ينله قومه ، وأغروا به سفهاءهم ، وجعلوا يرمونه بالحجارة حتى دميت قدماه ، فانصرف راجعا من الطائف الى مكة محزونا [٨] .

وروى الامام مسلم [٩] ، من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنها قالت : يارسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ فقال «**لقد لقيت من قومك وكان أشد مالقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجيبني الى ماأردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم أستفق الا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي فاذا بسحابة قد أظلّتني ، فنظرت فاذا فيها جبريل فناداني فقال : ان الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وماردوا عليك ، وقد بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، قال فناداني ملك الجبال وسلم عليَّ ، ثم قال : يامحمد ان الله قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال ، وقد بعثني ربك اليك لتأمرني بأمرك فما شئت .. ان أطبق عليهم الأخشبين** (وهما جبلان بمكة) ؟ فقال له رسول الله ﷺ ، **بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا شريك له**» .

الى هذا الحد من السمو والتسامح كان خلق الرسول العظيم بل كان يقول ــ ﷺ ــ في مثل ذلك من المواقف (اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون) [١٠] ، ولم يقابل السيئة بأخرى ، لأنه ــ كما قال عن نفسه ــ (**انما أنا رحمة مهداة**) [١١] . فقد قيل له ذات مرة يارسول الله ادع على

---

(٨) زاد المعاد : ابن قيم الجوزية ، بتحقيق شعيب الأرنؤوط ، ط ٨ : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ٣ /٣ ، ص : ٣١ــ٣٢ .

(٩) صحيح مسلم ، للنووي ، ط : القاهرة ، ٤ /١٢ ، باب «مالقى النبي من أذى المشركين» ، ص : ١٥٤ــ١٥٥ .

(١٠) مسلم : ٥ /١٦ ، باب «النهي عن لعن الدواب وغيرها» ، ص ١٥٢ــ١٥٣ / الهامش .

(١١) تفسير ابن كثير ، مرجع سابق ، (سورة الأنبياء ٥ /٣٨٠ــ٣٨١) .

المشركين قال : (انى لم أبعث لعانا وانما بعثت **رحمة**)[١٢] ، بل يذهب بنا الرسول الكريم الى أبعد من ذلك مبينا لأمته قيمته وفضله على البشر أجمعين فيقول : **(ان الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي)** [١٣] ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : **(مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله ، الا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)** [١٤] .

أوصافه وصفاته النبوية :

عن جابر الأنصاري رضي الله عنه أنه قال : (قال رسول الله ﷺ **أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي ، كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل أحمر وأسود ..**)[١٥] ، وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه **(وأرسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون)** [١٦] .

وعن بعض سماته وملامح شخصيته الانسانية النبوية الشريفة يحدثنا أصحابه الذين خالطوه وعاصروه ، فيقول ابن عباس رضي الله عنه (كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود مايكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة) [١٧] . وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه انه قال : (ماسئل رسول الله

---

(١٢) مسلم : ٥ /١٦ ، (باب من لعنة النبي لله أو سبه «ص : ١٥٠» .

(١٣) رواه الامام أحمد ، عن أنس بن مالك .

(١٤) مسلم : ٤ /١٥ ، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين ، ص ٥١ــ٥٢ .

(١٥،١٦) مسلم : ٢ /٥ ، كتاب ــ«المساجد ومواضع الصلاة» ص : ٣ــ٥ ، وانظر : شرح النووى وتعليقه على هذا الحديث «بالهامش» .

(١٧) البخاري : «كتاب بدء الوحي» ، ١ /٣٠ــ٣١ .

ﷺ شيئا قط فقال لا) [١٨] ، وقال أنس بن مالك (كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وكان أجود الناس وكان أشجع الناس) [١٩] .

وفي تواضعه المعهود عنه ، ﷺ ، يحدثنا عن ذاته الشريفة فيقول : (**انما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر**) [٢٠] ، ومع ذلك لم يَكن ﷺ فاحشا ولا متفحشا بل كان يقول (**ان من خياركم أحاسنكم أخلاقا**) [٢١] .

أما اذا تمكن ﷺ من أعدائه ــ خارج ساحات الجهاد وبعيدا عن جو القتال ــ فلم يكن يمثل أو يغدر بهم غيلة ، وانما كان يقول لهم : (**يامعشر قريش ماترون أني فاعل فيكم** ؟ قالوا خيرا : أخ كريم وابن اخ كريم ، قال : **اذهبوا فأنتم الطلقاء**) [٢٢] .

ماأعظمه من مثل ضربه النبي الكريم للعفو عند المقدرة ! . فعن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت ــ فيما يؤكد ذلك ــ ماخير رسول الله ﷺ بين أمرين الا أخذ أيسرهما مالم يكن اثما ، فان كان اثما كان أبعد الناس منه ، وماانتقم رسول الله ﷺ لنفسه الا أن تنتهك حرمة الله عز وجل) [٢٣] .

ان النبي محمد ﷺ لم يكن مصلحا ثوريا ولا زعيما عسكريا «دكتاتوريا» ــ معاذ الله ــ فينتقم لنفسه من المتمردين عليه ، أو يظهر بالبطش والطوفان على مناوئيه ، فيقتلهم أو يغرر بهم . ولم يكن ــ كذلك ــ طامعا في دنيا يصيب منها مأربا لنفسه فتقتصر حياته فيها على الطمع

---

(١٨) متفق عليه ، وانظر : رياض الصالحين ، للنووى ، سابق الاشارة اليه ، ص :٢٥٩ .

(١٩) مسلم : ٥ /١٦ ، «باب شجاعته ﷺ» ص : ٦٧ ــ ٧١ .

(٢٠) مسلم : ١٤٦ ، «باب من لعنه النبي أو سبه» ص : ١٥٥ .

(٢١) مسلم : ٥ /١٥ ، باب كثرة حيائه ﷺ ، ص : ٨٧ .

(٢٢) السيرة النبوية : ابن هشام ، فصل : «طواف الرسول بالبيت» ٢ /٤١١ ــ ٤١٢ .

(٢٣) مسلم ، ٥ /١٥ ، باب : «مباعدته ﷺ للآثام ، ص :٨٣ .

والانغماس في جمع المال والبخل والشح المطاع . ولكم يكن ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ يفكر قط في تأسيس «ملك» له أو يطمع الى تكوين «امبراطورية» لأحد من بعده من رجالات عشيرته أو ذوى قرباه ، بل كان ﷺ يقول (**لا نورث ماتركناه صدقة**) [٢٤] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : (قال رسول الله ﷺ **لا تقتسم ورثتي دينارا ، ماتركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة**) ، وفي لفظ لأحمد (**لا يقتسم ورثتي دينارا ولا درهما**) [٥](متفق عليهما) .

لقد كان النبي محمد ــ وسيظل ــ صاحب دعوة الحق ، خالصة من كل دنايا الدنيا ، دعوة طاهرة نقية نزيهة عاقلة ذكية لا مأرب له ــ فيها ــ الا ماخصه به الذي بعثه بها سبحانه . دعوة تجمع عقول الناس وقلوبهم على اله واحد ودين واحد ، وملة واحدة ، صالحة لكل عصر من الأعصار ، أهله زمانهم ومكانهم ، الا وهي الاسلام ﴿**ان الدين عند الله الاسلام**﴾ [٢٥] ، ﴿**ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه**﴾ [٢٦] ، ﴿ **ورضيت لكم الاسلام دينا**﴾ [٢٧] .

من أجل ذلك كان محمد ﷺ مشفقا على قومه ، رحيما بهم كان حظه منهم (لأن يهدى الله بك رجلاً واحدا خير لك من حمر النعم) [٢٨] . وكان همة منهم (اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون) [٢٩] .

ماتقدم ذكره عن النبي الكريم هو بمثابة (مدخل) لمحاولة الولوج الى

---

(٢٤) نيل الاوطار ، للشوكاني ، ط : القاهرة ، مج ٣ /٦ ، باب «ان الأنبياء لا يورثون» ، ص : ٧٦ــ٧٧ .

(٢٥،٢٦) سورة آل عمران ، آيتي : ١٩ ، ٨٥ .

(٢٧) سورة المائدة ، آية : ٣ .

(٢٨) رياض الصالحين ، للنووي ، كتاب العلم ، الحديث رقم (١٣٧٧) ص :٥٢٤ .

(٢٩) المرجع نفسه ، باب الصبر ، الحديث رقم (٣٧) ، ص : ٣١ .

شخصية الرسول محمد والاقتراب منه والاقتباس من قبسه الشريف وشمائله العظيمة وهو مايدعونا أكثر للتعرف على بعض سماته وصفاته الخلقية والخلقية ، التي حفظتها لنا كتب السيرة والسنة . فماذا طوت صفحاتها اذن ؟

عن علي بن أبي طالب ــ كرم الله وجهه ــ قال [٣٠] : (لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل الممغط (أى الممتد) [٣١] ولا القصير المتردد [٣٢] ، وكان ربعة من القوم ، ولم يكن بالجعد القطط (الشديد جعودة الشعر) ، ولم يكن بالمطهم (العظيم الجسم) ، ولا المكلثم (المستدير الوجه في صغر) ، وكان ابيضاً مشربا ، أدعج العينين (أى شديد سوادهما) ، أهدب الأشفار (طويل الرموش) ، جليل المشاش (عظام رؤوس المفاصل) ، والكتد (أى مابين الكتفين) ، دقيق المسربة (الشعر الذي يمتد من الصدر الى السرة) . أجرد (قليل شعر الجسم) ، شثن (غليظ) الكفين والقدمين .

اذا مشى تقلع (لم يثبت قدميه) كأنما يمشي في صبب (أى كأنه ينحدر من فوق جبل) ، واذا التفت التفت معا (أى بكامل جسمه) بين كتفيه خاتم النبوة ، وهو ﷺ خاتم النبيين ، أجود الناس كفا [٣٣] ، وأجرأ الناس صدرا ، وأصدق الناس لهجة (صادق في قوله) ، وأوفى الناس ذمة (صادق في عهده لغيره) ، وألينهم عريكة (أحسنهم معاشرة) ، وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهة (ابتداءاً) هابه وعظمه ، ومن خالطه أحبه .

يقول ناعته وواصفه ــ رضي الله عنه ــ لم أر قبله ولا بعده مثله [٣٤] ، ﷺ .

---

(٣٠) السيرة النبوية ، ابن هشام ، فصل : «وصف علي لرسول الله» ، ١ /٤٠١ .

(٣١) أو فارع الطول .

(٣٢) أى الشديد القصر .

(٣٣) وقد سبقت الاشارة الى هذه الصفة فى أول الفصل .

(٣٤) انظر : ابن هشام ، المرجع السابق ، ١ /٤٠١ .

وعن البراء بن عازب — رضي الله عنه — قال : كان رسول الله ﷺ رجلا مربوعا — أى ليس بالطويل ولا بالقصير — بعيد مابين المنكبين ، عظيم الجمة (بضم الجيم) الى شحمة أذنيه .. عليه حلة حمراء مارأيت شيئا قط أحسن منه . وكان أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا (بفتح الخاء) ، وليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير .

فائـــدة :

قال أهل اللغة الجمة أكثر من الوفرة ، فالجمة الشعر الذي نزل الى المنكبين والوفرة مانزل الى شحمة الأذنين ، واللمة التى ألمت بالمنكبين . قال القاضي : والجمع بين هذه الروايات أن مايلي الأذن هو الذي يبلغ شحمة أذنيه ، وهو الذي بين أذنيه وعاتقه ، وماخلفه هو الذي يضرب منكبيه . قال : وقيل بل ذلك لاختلاف الأوقات ، فإذا أغفل عن تقصيرها بلغت المنكب ، واذا قصرها كانت الى أنصاف الأذنين ، فكان يقصر ويطول بحسب ذلك ، والعاتق مابين المنكب والعنق ، وأما شحمة الأذن فهو اللين منها في أسفلها وهو معلق القرط منها . وقال أنس رضي الله عنه كان شعر رسول الله ﷺ شعرا رجلا ليس بالجعد (الأكرت) ولا السبط بين أذنيه وعاتقه. (انظر : مسلم : جـ ١٥ /٩١ — ٩٢) .

وعن جابر بن سمرة قال : (كان رسول الله ﷺ ، ضليع الفم ، أشكل العين ، منهوس العقبين ، قال : قلت لسماك ماضليع الفم ؟ قال عظيم الفم ، ومأأشكل العين ؟ قال طويل شعر العينين ، ومامنهوس العقب ؟ قال : قليل لحم العقب) [1] .

وقال سعيد بن منصور : (كان رسول الله ﷺ ، أبيض ، مليح الوجه

---

(١) مسلم : ٥ /١٥ ، ص : ٩٣ .

مقصدا (أى ليس بجسم ولا نحيف) ، وعن أنس بن ماللك رضي الله عنه قال : (كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ، وليس بالأبيض الأمهق ولا بالادم ولا بالجعد القطط ولا بالسبط ، بعثة الله على رأس أربعين سنة فأقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين وتوفاه الله على رأس ستين سنة [٢] ، وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء) [٣] .

ولقد جمعت (أم معبد الخزاعية)[٤] فأوعت وصف الرسول الكريم حينما كانت تصفه — ﷺ — لزوجها (أبو معبد الخزاعي) وكان لما قالت ما يلفت الانتباه ويجدر بالتسجيل .

قالت (أم معبد)[٥] : رأيت رجلا ظاهر الوضاءة ، متبلج (أى مشرق) الوجه ، حسن الخلق — بفتح الخاء — . لم تعبه ثجلة (ضخامة البطن) ولم تزر به صعله (لم يشنه صغر الرأس) ، وسيم قسيم ، في عينه دعج (شديد سواد الحدقة) ، وفي أشفاره وطف (طول واستقامة) وفي لحيته كثافة (غزير شعر اللحية) . اذا صمت فعليه الوقار ، واذا تكلم سما وعلا البهاء ، وكأن منطقة خزرات نظم يتحدرن — تريد سلس الكلام — حلو النطق ، فصل لانذر ولاهزر (لا عى في كلامه ولا ثرثرة في حديثه) . أجهر الناس من بعيد وأحلاهم ، وأحسنهم من قريب ، ربعة (وسط بين بين) لا تشنؤه من طول — أى لا تبغضه — ولا تقتحمه عين (لا تحتقره) من قصر ، غصن بين غصين ، فهو أنضر الثلاثة منظرا . تريد متمايز عمن معه من الرفقاء . وأحسنهم قدرا ، له رفقاء (أى أتباع) يخصون به . اذا قال استمعوا لقوله ، واذا أمر تبادروا الى أمره ، محفود (يسرع اليه أصحابه) في طاعته ، محشود (يجتمع الناس حوله ويلتفون)

---

(٢) وفي رواية عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : توفى رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وقال ابن شهاب : أخبرني سعيد بن المسيب بمثل ذلك .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٠ — ١٠١ .

(٤) نسبة الى قبيلة خزاعة .

(٥) زاد المعاد ، جـ /١ ، ص :

لا عابث ولا مفند (غير مخرف في الكلام) .

قال أبو معبد تعليقا على هذا الوصف ، هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ماذكر ، ولو كنت وافقته (أى التقيت به) يأم معبد لتلمست أن أصحبه ، ولأفعلن .. ماوجدت الى ذلك سبيلا .

* * *

هذا قول من عاصروه وشاهدوه وتمرسوا سمته الشريف وسماته النبوية ﷺ ، فاعجبوا به وبكمال خلقه وعظيم أخلاقه عليه الصلاة والسلام .

أقوال الكتاب المعاصرين فيه :

أما الذين لم يعاصروه ولم يشاهدوه ، ولكن خالط الايمان قلوبهم به ، وبمنهجه الاسلامي العظيم ، وشريعته الغراء ، فهؤلاء ينقسمون الى قسمين :

قسم في (الشرق) :

ونعني به جانبا من كتابنا الشرقيين ، الذين كتبوا عن النبي محمد ودعوته ، نذكر منهم ــ على سبيل المثال لا الحصر ــ ذلك الكاتب الذي علق على بعض أعمال للنبي ﷺ ، كان لها أثرها في محيط واقع العرب ابان ظهور دعوته الاسلامية وكان لها صداها في جوانب النفوس التى آمنت به آنذاك . علق قائلا : (اننا أمام ذات متفردة تماما مستوفية أسباب الكمال ، جامعة لأقصى الأطراف في كل شيء ، فاعلة منفعلة ، نشيطة مؤثرة ، تصنع بطلا من كل رجل تلمسه .. نحن لسنا اذن أمام أبراهام لنكولن ، ولا أمام جيفارا كما تصور أصحابنا قصار النظر دعاة المادية الجدلية ودعاة العلمية بلا علمية) [١] .

واستطرد يقول : نحن لسنا أمام مصلح اجتماعي .. ولا أمام ثورة اسبارتاكوس الاجتماعية .. لا .. هزلت تلك التشبيهات . بل ظلموا أنفسهم

---

(١) دكتور : مصطفى محمود ، كتابه : (محمد عليه الصلاة وعليه السلام) القاهرة ، ص : ٢٣ــ٢٤ .

وظلموا نبيهم ، ونقصوه وماقدروه . بل نحن أمام ذات تسبح من أنشأها فى الأزل وبعثها للأبد رحمة للعالمين .

وثمة رجل آخر ، أحد أولئك الذين فقهوا السيرة النبوية فقها ، كتب يقول ـــ وحقا مايقول : (ان محمدا وصحبه تعلموا وعلموا ، وخاصموا وسالموا ، وانتصروا وانهزموا ، ومدوا شعاع دعوتهم الى الآفاق ، وهم على كل شبر من الأرض يكافحون ، لم ينخرم لهم قانون من قوانين الأرض) [٢] ـــ يريد لم يأت لهم ماوصلوا اليه من التمكين عن طريق المعجزة وخوارق العادات ـــ (ولم تلن لهم سنة من سنن الحياة ، بل انهم تعبوا أكثر مما تعب أعداؤهم ، وحملوا المغارم الباهظة في سبيل ربهم ، فكانوا في ميدان تنازع البقاء أولى بالرسوخ والتمكين) [٣] .

وقسم في (الغرب) :

أما القسم الآخر من هؤلاء الكتاب المعاصرين الذين تأثروا بالنبي محمد ودعوته من كتّاب «الغرب» فنذكر منهم ذلك الكاتب الفرنسي «الكونت هنرى دي كاسترى» الذي درس الاسلام دراسة عميقة ، وكتب عنه كتابا قيما ، ترجمه المرحوم فتحي زغلول ، بعنوان «الاسلام خواطر وسوانح» تحدث فيه عن كثير من جوانب الاسلام سواء أكان ذلك يتعلق بالرسول ﷺ ، أم فيما يتعلق بالتعاليم الاسلامية ذاتها .

كتب «دى كاسترى» يقول : (والعقل يحار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات عن رجل أمى ، وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يعجز فكر بني الانسان عن الاتيان بمثلها لفظا ومعنى ، (يشير بذلك الى القرآن الكريم) ..

---

(٢) الشيخ محمد الغزالي ، في كتابه : فقه السيرة ، ط ٧ ، القاهرة .

(٣) فقه السيرة ، المرجع السابق ، ص :٥٧ــ٥٨ .

آيات لما سمعها عتبة بن أبي ربيعه حار في جمالها ، وكفى رفيع عباراتها لاقناع عمر بن الخطاب ، فآمن برب قائلها وفاضت عين نجاشي الحبشة بالدموع لملا تلا عليه جعفر بن أبي طالب سورة مريم ، وماجاء في ولاية يحيى) [٤] .

وهذا «كارلايل» أحد كبار كتاب الانجليز ، شاعري النزعة والفطرة متحرر من الرياء والخبث ، يتتبع البطولة ، فيكتب عنها ، ويمتدحها ويحبب الناس في السمو بأنفسهم الى منازل الأبطال ، أو على الأقل الى التشبه بهم ، وقد أثار كتابه «الأبطال» اعجابا في ميدان الفكر العالمي ، وترجم الى كل اللغات الحية ، . وفي هذا الكتاب فصل مستفيض عن حياة الرسول ﷺ ، قال فيه مانصه :

من العار أن يصغى أى انسان متمدين من أبناء هذا الجيل الى وهم القائلين أن دين الاسلام كذب ، وأن محمدا لم يكن على حق ... لقد آن لنا أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة المخجلة ، فالرسالة التى دعا اليها هذا النبي ظلت سراجا منيرا أربعة عشر قرنا من الزمان لملايين كثيرة من الناس ، فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة التي عاشت عليها هذه الملايين وماتت أكذوبة كاذب ، أو خديعة مخادع ، ولو أن الكذب والتضليل يروجان عن الخلق هذا الرواج الكبير لأصبحت الحياة سخفا وعبثا ، وكان الأجدر بها ألا توجد [٥] .

ويتساءل الكاتب مستنكرا : هل رأيتم رجلا كاذبا يستطيع أن يخلق دينا ، ويتعهده بالنشر بهذه الصورة ؟ .. وعلى ذلك فمن الخطأ أن نعد محمدا رجلا كاذبا متصنعا متذرعا بالحيل ، والوسائل لغاية أو مطمع . وما الرسالة التي أداها الا الصدق والحق . وماكلمته الا صوت حق صادق صادر من العالم المجهول

---

(٤) الاسلام خواطر وسوانح ، للكونت هنرى دي كاستري ترجمة : أحمد فتحي زغلول باشا ، ط دار الفرجاني ـــ طرابلس ص : ٢٣ .

(٥) أوربا والاسلام ، للدكتور عبدالحليم محمود ، ط : المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، القاهرة ، ص ٦٢ .

(يعني الغيب) وماهو الا شهاب أضاء العالم أجمع ذلك أمر الله .. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

هكذا يقول «كارلايل» .. بل انه يعرب عن انطباعه وشعوره الداخلي حيال النبي محمد فيقول صراحة : (أحب محمد لبراءة طبعه من الرياء ، والتصنع ، ولقد كان ابن الصحراء مستقل الرأى ، لا يعتمد الا على نفسه ، لا يدعى ماليس فيه ، ولم يكن متكبرا ولا ذليلا ، فهو قائم في ثوبه المرقع ، كما أوجده الله يخاطب بقوله الحر المبين أكاسرة العجم وقياصرة الروم ، يرشدهم الى مايجب عليهم لهذه الحياة والحياة الآخرة) [٦]

ويختم الأديب الانجليزي كلمته فيقول : وفي ظني أنه لو وضع قيصر بتاجة وصولجانه وسط هؤلاء القوم (العرب الغلاظ) بدل هذا النبي ، لما استطاع قيصر أن يجبرهم على طاعته ، كما استطاع هذا النبي في ثوبه المرقع .

هكذا تكون العظمة .

وهكذا تكون البطولة .

وهكذا تكون العبقرية .. عند «كارلايل» وعند المؤمنين المخلصين لهذا النبي الكريم .

بيد أننا لا نريد أن نكثر ــ هنا ــ من تلك الأقوال الصادرة عن قائليها وكاتبيها ، المعجبون بالنبي محمد ودعوته الخالدة والمؤمنون ــ منهم ــ برسالته وشريعته الاسلامية الغراء ، فنحن لا نكتب ــ الآن ــ «كتابا» عن «محمد» ﷺ ، ولكننا أردنا أن نقدم ــ من خلال ذلك ــ اجابة على تساؤل من الممكن أن يثور في الذهن : من هو محمد الذي أرسل للناس أجمعين ؟

ومع ذلك فان هذه الآراء والأقوال الصادرة عن كتاب (الغرب) ــ هؤلاء ــ وغيرهم ــ ليست «شهادة» للنبي محمد ، ولا حتى للاسلام ككل ، كما

---

(٦) نفس المرجع ، ص : ٦٤ .

يعتقد ذلك بعض كتابنا المفتونين ببريقها [٧] . بل على العكس من ذلك تماما ان هذه الأقوال والتصريحات التي يرى البعض أنها تتسم بالانصاف ، أو مايسمى بالموضوعية و «الحياد العلمي» ليست الا حجة على هؤلاء الكتاب الغربيين الذين يشهدون لهذا الرسول الكريم ولكنهم لم يدخلوا أنفسهم حظيرة «الايمان» به وبرسالته الغراء !

فاذا كنا — فيما سبق عرضه — قد انتهينا الى معرفة قبس من أخلاقه الشريفة ، ووقفنا على بعض ملامح شخصيته ﷺ ، فاننا نكون قد خلصنا — من ثم — الى الاجابة على التساؤل المطروح من قبل . واذا كانت تلك نظرة الكاتبين المنصفين له والمعجبين به — ﷺ — وبمنهجه ورسالته الغراء . فما أجدرنا أن نقول عنه : انه خليق بحمل الرسالة عن الله عز وجل والداعي اليها على خير وجه من الحكمة والموعظة الحسنة . ﴿**فتوكل على الله انك على الحق المبين**﴾ [٨] ، ﴿**وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين . انه هو السميع العليم**﴾ [٩] ﴿**وقل انني أنا النذير المبين**﴾ [١٠] .

اذا كان ذلك كذلك ، فالسؤال الذي يطرح نفسه اذن : كيف يكون التعظيم الحقيقي للنبي محمد الذي يلزمنا به هذا الدين تجاه مبلغه وحامل رايته للعالمين جميعا ، ﷺ ؟ .

---

(٧) من الكتب التي نحت هذا المنحى كتاب «مع الرسول ...» للدكتور علي العمارى ، سلسلة (دراسات في الاسلام) ص ٢٧ — ٢٩ ، ط المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية — القاهرة — ١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ ، «نبي الاسلام في مرآة الفكر الغربي «للدكتور عزالدين فراج ، المطبعة العالمية ، القاهرة ، و «مولد الرسول هداية ورحمة» تأليف عبدالمحسن أحمد سليم ، سلسلة (دراسات في الاسلام) ط المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ٣٩—٤٧ و «نبي الانسانية» تأليف أحمد حسين ، ط المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، القاهرة (لجنة التعريف بالاسلام) .

(٨) سورة النمل ، آية : ٧٩ .

(٩) سورة الشعراء ، آيات : ٢١٧—٢٢٠ .

(١٠) سورة الحجر ، آية : ٨٩ .

التعظيم الحقيقي للنبي محمد :

ان تعظيم الرسول محمد ﷺ واجب مفروض علينا نحن جميع المؤمنين به وبرسالته وشريعته الغراء . فقد فرض الله تعالى علينا احترامه وتقديره ، ﷺ ، في أكثر من موضع من آية من آيات كتابه العزيز ، فقال : **﴿فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾** (١١) . وقال تعالى : **﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا﴾** (١٢) ، والمعنى : الا تنادوه باسمه الكريم مجردا من صفة من صفات النبوية والتوقير والاحترام اللائق بمقامه الشريف . ولكن نادوه ـــ ان ناديتموه أو تحدثتم عنه ـــ بكنيته ، فقولوا : يانبي الله أو يارسول الله أو يابن عبدالله ، ﷺ .

روى الامام مسلم في ذلك عن أنس ، رضي الله عنه ، قال : (نادى رجل رجلا بالبقيع : ياأبا القاسم ، فالتفت اليه رسول الله ﷺ ، فقال يارسول الله انى لم أعنك ، انما دعوت فلانا ، فقال رسول الله ﷺ **«تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي»** .. وفي رواية **«تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي فانما أنا قاسم أقسم بينكم»**) (١٣) .

فالتعظيم الحقيقي ـــ على هذا النحو ـــ يكمن في احياء سنته الشريفة والتمسك بها وبعثها اليوم ـــ من جديد ـــ في نفوس عامة المسلمين والسير على منهجه الواضح المبين ، فهو صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ، ولئن كان هذا الاحياء وذلك «البعث» والتمسك سيكلف «أنصار السنة» قدرا من المشقة يهون مع قليل من الصبر والمثابرة والجهاد والتحمل في سبيل نشر «السنة النبوية» ، كما أنه يهون أيضا أمام الهدف السامي والغاية المأمولة ، الا وهي ارضاء الله تعالى وطاعة

---

(١١) سورة الاعراف ، آية : ١٥٧ .

(١٢) سورة النور ، آية : ٦٣ .

(١٣) مسلم : ٥ /١٤ ، كتاب الآداب ، باب : «مايستحب من الأسماء» ص : ١١٢ـــ١١٣ .

رسوله الكريم .

وهذا ماأشار اليه صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف (**فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، واذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ماستطعتم**) (١٤) وقوله عليه الصلاة والسلام (**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجز**) ــ أى الأضراس أو الأنياب ــ وفي هذا اشارة الى أهمية الأمر بالتمسك بالسنة (**واياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة**) (١٥) . وهو ماأكده ، في الوقت نفسه ، القرآن الكريم ، فقال تعالى : ﴿**وان تطيعوه تهتدوا**﴾ (١٦) ، وقال تعالى ﴿**ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما**﴾ (١٧) .. الخ . ذلك من الآيات البينات .

وثمة دليل آخر أكثر وقعا في القلوب والآذان التى تريد أن تعظم «محمدا» التعظيم الصحيح : ﴿**ياأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي . ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون**﴾ (١٨) .

ولعلنا لا نجانب الصواب اذا قلنا : ان رفع الصوت فوق صوت النبي قد يتأتى من عدم الامتثال لأوامره والانتهاء بنواهيه ، بل من عدم التحاكم اليه والطاعة ، والانقياد لتشريعه الالهي، وماتركه لنا من سنته الشريفة ، بقصد التشريع والالزام . والحجة في ذلك قوله تعالى : ﴿**وماكان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم . ومن يعص الله ورسوله**

---

(١٤) متفق عليه ، انظر : رياض الصالحين ، للنووي ، مرجع سابق ذكره باب : الأمر بالمحافظة على السنة وآدابها ، الحديث رقم (١٥٦) ص :٨٧ .

(١٥) رواه أبوداود والترمذى وقال حديث حسن صحيح .

(١٦) سورة النور ، آية : ٥٤ .

(١٧) سورة الأحزاب ، آية : ٧١ .

(١٨) سورة الحجرات ، آية : ٢ .

فقد ضل ضلالا مبينا﴾ [١٩] وقوله عز وجل **﴿انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون﴾** [٢٠] ، وقوله **﴿وماآتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا﴾** [٢١] .

هكذا يكون تعظيمنا للنبي محمد ، فباحياء سنته الشريفة والدعوة اليها والاعلام بها ، يكون اكبارنا لتوقيرنا له على نحو مايكون التوقير والاحترام . فليست المحبة له ، صلى الله عليه وسلم ، مجرد عبارات من المدح ، أو بضع كلمات متراصة تخرج من قرائح العواطف الانسانية الجياشة لتقال في شخصه الكريم . ولكن المحبة الحقيقية تكمن ـــ وكما قلنا مرارا وتكرارا ـــ في العمل ـــ عمل جميع المكلفين ـــ بهذه الدعوة والاقتداء به ﷺ ، مباشرة ـــ قولا وعملا ، سرا وعلانية ـــ من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال .

وآكد ذلك قوله تعالى **﴿قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره﴾** [٢٢] . وقوله تعالى : **﴿قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾** [٢٣] .

---

(١٩) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٦ .
(٢٠) سورة النور ، الآية : ٥١ .
(٢١) سورة الحشر ، الآية : ٧١ .
(٢٢) سورة التوبة ، الآية : ٢٤ .
(٢٣) سورة آل عمران ، الآية : ٣١ .

الفصل الثانى

منهج القرآن في الدعوة وأهدافه

* وجوب الدعوة الى الله .
* أهم شروط الداعية الاسلامي .
* اسلوب الداعية مع غير المسلمين .
* منهج الرسول ﷺ في دعوته أهل الكتاب .
* بطلان دعوى اكراه الاسلام لغير المسلمين .
* أهداف الدعوة في القرآن والسنة .

منهج القرآن في الدعوة وأهدافه

وجوب الدعوة الى الله :

لقد أكد القرآن الكريم في العديد من آياته الكريمة على وجوب الدعوة إلى الله وابلاغها للناس كافة ، والآيات التى تأمر بابلاغ الدعوة الى الله أمرا مطلقا ، منها المكي ، ومنها المدني ، وقد يكون مع الأمر العام بالتبليغ بيان وتوجيه للطريق السوي الذي ينبغى أن يسلكه الداعية والصفات التى يجب ان يتحلى بها الدعوات إلى الله .

ومن الآيات المكية في الأمر بالتبليغ قوله تعالى : ﴿**فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين**﴾ [١] ، وقوله ﴿**فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم**﴾ [٢] ، وقوله عز وجل ﴿**ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾ [٣] .

أما الآيات المدنية التي تأمر بالتبليغ فمنها قوله تعالى ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**﴾ [٤] . وقوله ﴿**ياأيها الرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته**﴾ [٥] . وقوله تعالى ﴿**وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم**﴾ [٦] .

وأما ماجاء في السنة الشريفة من أحاديث عن النبي في هذا المقام ، فنذكر منها قوله ، ﷺ ، في حجة الوداع (.. **ليبلغ الشاهد الغائب ، فان الشاهد**

---

(١) سورة الحجر ، الآية /٩٤ .
(٢) سورة الشورى ، الآية /١٥ .
(٣) سورة النحل ، الآية /١٢٥ .
(٤) سورة آل عمران ، الآية /١٠٤ .
(٥) سورة المائدة ، الآية /٦٧ .
(٦) سورة الحج ، الآية /٦٧ .

عسى ان يبلغ من هو أوعى له منه) [٧] . وذلك بعد أن قال : **«فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»** . وقوله عليه الصلاة والسلام **(جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم)** [٨] .

وقوله أيضا : **(لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم)** [٩] .

واذا كانت هذه الأحاديث والآيات القرآنية توجب الدعوة الى الله ومنهاجه الحق المبين ، الا أنها تتضمن كذلك الاشارة الى الأسلوب الأمثل الذي يجب أن يترسمه الداعية ــ أو من يريد من الأمة التصدى لحمل هذه الأمانة ــ في منهج دعوته وخطى هديه لهذا الدين .

فالدعوة الى الاسلام باعتباره دينا عالميا وخاتما من أعظم الأمور شأنا وأجلها قدرا ، وبخاصة اذا كانت الظروف المحيطة بها ظروفا متغيرة حسب تغاير الميدان ، واذا كانت كذلك في محيط يختلف في لغته وأوضاعه عن لغة الداعين وعاداتهم وسائر أحوالهم السياسية والاجتماعية وغيرها .

أهم شروط الداعية الاسلامي :

ثمة شروط يجب توافرها في الداعية وأسلوبه في الدعوة ، من ذلك : أن يراعي هدى القرآن الكريم وتوجيهاته في هذا الصدد والتى منها الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن يكون عالما متمكنا مما يدعو وبخاصة اذا نصب نفسه لمواجهة عامة الناس بمختلف مستوياتهم ووعيهم . كما يتطلب ــ منه ــ

---

(٧) البخاري : كتاب العلم ، الحديث رقم (٦٧) ، ١ /١٥٨ــ١٥٩ .

(٨) رواه احمد وأبوداود والنسائي ، واسناده صحيح .

(٩) رواه الترمذي وحسنه .

الدراية أو المعرفة الكافية بموارد الاستشهاد من القرآن والسنة ، وكيف يناقش من يدعوه ان أعوزه الأمر إلى المناقشة وهذا هو مايرمي اليه قوله تعالى **﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾** [١٠] .

وللداعية أن يلم بالمأثور عن الصحابة والمذاهب الفقهية المعروفة (آراء الفقهاء) ، وأن يفقه السيرة النبوية ، والتاريخ الاسلامي ، فقهما يخدم قضيته التي يدعو الناس اليها ، وأن يكون الداعية على قدر من الاتصال بثقافة عصره واعيا بالمتغيرات الجارية من حوله من تيارات وآراء ومكتشفات علمية ، يبين من خلالها علاقة ذلك التطور العلمي بالدين ، لمافي ذلك من خدمة للدعوة الاسلامية واظهارها من مجرد دعوة دينية فقط الى دعوة علمية وحياتية في الوقت نفسه ، تنفع الفرد في دنياه وكذلك أخراه !

فلابد اذن من اعداد الداعية الذي يتولى نشر دعوة الاسلام خارج حدود عالمه الى الأقطار الأجنبية ، أن يقوم على ثلاثة ركائز أساسية هي : التمكن العلمي ، والدراية الفنية ، والكمال الخلقي (بضم الخاء) . هذه الركائز الثلاثة التى أشرنا اليها تتطلب من الداعية عدة أمور منها :

- أن يكون على معرفة صحيحة بأحكام الكتاب والسنة في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق (الحلال والحرام) ، (وأن يكون على دراية كافية بالسيرة والتاريخ الاسلامي) ، (الى جانب علمه بالعلوم الأصلية للثقافة الاسلامية بفروعها المتنوعة ، لأن الداعية سيكون ممثلا أو معبرا عن حقيقة هذا الدين) [١١] .
- أن يجمع الى كل هذا علما حديثا بالمعارف الأخرى التي توضح العلوم الدينية بأسلوب العصر ، لأن الناس ينتظرون من ممثل الدعوة أن يكون

---

(١٠) جزء من الآية /١٢٥ من سورة النحل .

(١١) الدين العالمي ومنهج الدعوة اليه ، للشيخ عطية صقر ، مجمع البحوث الاسلامية ، القاهرة ، ص : ١٨٣ .

نموذجا مشرفا يعيش مع عصره واحداثه
خلاله الناس للدخول في دينه ، ويحاولوا
ماقد يتعرض له المجتمع من مشكلات من
ولابد أن تكون هناك حكمة وغاية في
أسلوبها وأغراضها ومعانيها وكل مايتصل
مرجوة . وأحسن تخطيط ماكان مستوحى
الله ﷺ في هذا الاطار ، ومايضاف للذلك
من وحي الظروف والأحداث ، قال تعالى
على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ (١٢)

فالدعوة على بصيرة ، أى على يقين وايمان
هو الذي ينير طريق الدعوة الى الله ، كما
النحل» ! وفي ذلك يقول الشيخ عطيه
العقل والتفكير السليم الذي يضع كل
باستعمالها ، ليكون أساس دعوته معقولا
سلوكا مستقيما) (١٣) . ولعل هذا المعنى
قوله تعالى ﴿**يؤتي الحكمة من يشاء**
كثيرا﴾ (سورة البقرة : الآية /٢٦٩) .

والحكمة أيضا هي أن تكون الفكرة
المعنى والأسلوب ، ثم ان المراد بالموعظة
الخير والترهيب من الشر بأسلوب عفيف
أن تلك الأساليب الخشنة (الفظة) تخلق

---

(١٢) سورة يوسف : الآية /١٠٨ .
(١٣) الدين العالمي ، المرجع السابق ، ص :١٩٦ .

نموذجا مشرفا يعيش مع عصره واحداثه متصلا بمجتمعه الذي يدعو من خلاله الناس للدخول في دينه ، ويحاول ـــ من جانبه ـــ أن يسهم في حل ماقد يتعرض له المجتمع من مشكلات من الواجب أن يشارك فيها بدعوته .

ـ ولابد أن تكون هناك حكمة وغاية في الدعوة ، أى تخطيط دقيق يتناول أسلوبها وأغراضها ومعانيها وكل مايتصل بها من أمور وأهداف ومقاصد مرجوة . وأحسن تخطيط ماكان مستوحى من القرآن الكريم وهدى رسول الله ﷺ في هذا الاطار ، ومايضاف لذلك من تجارب وخبرات للداعية نابعة من وحي الظروف والأحداث ، قال تعالى : ﴿**قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني**﴾ [١٢] .

فالدعوة على بصيرة ، أى على يقين وايمان ، أو على علم وهدى وهذا العلم هو الذي ينير طريق الدعوة الى الله ، كما جاء في الآية (١٢٥) من «سورة النحل» ! وفي ذلك يقول الشيخ عطيه صقر (ان الحكمة ـــ هنا ـــ هي : العقل والتفكير السليم الذي يضع كل شيء موضعه ، وقد أمر الله نبيه باستعمالها ، ليكون أساس دعوته معقولا ومقبولا ، وليكون سلوكه مع الناس سلوكا مستقيما) [١٣] . ولعل هذا المعنى هو المراد من كلمة الحكمة في قوله تعالى ﴿**يؤتي الحكمة من يشاء . ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا**﴾ (سورة البقرة : الآية /٢٦٩) .

والحكمة أيضا هي أن تكون الفكرة سليمة والآداء جميلا ، فهي تشمل المعنى والأسلوب ، ثم ان المراد بالموعظة الحسنة أن يكون الترغيب في الخير والترهيب من الشر بأسلوب عفيف لا فحش فيه ولا سباب مثلا . ذلك أن تلك الأساليب الخشنة (الفظة) تحدث عكس المرجو من ورائها .

---

(١٢) سورة يوسف : الآية /١٠٨ .

(١٣) الدين العالمي ، المرجع السابق ، ص :١٩٦ .

: بالحق . تعالى : ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم﴾ (١٤) .

على من يتصدر للدعوة أن يكون كيسا فطنا متحليا بالاستقامة في عمله ، ملتزما بالمبادىء الأخلاقية والدينية التي يدعو الناس اليها حتى لا يكون بتركه مايأمر به خطباء أو دعاة الفتنة أولئك الذين حذر منهم الرسول الكريم حينما قال : (يخرج في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضأن من اللين ، ألسنتهم أحلى من السكر ، وقلوبهم قلوب الذئاب .. يقول الله عز وجل : أبي يغترون ؟ أم على يجترئون ؟ فبي حلفت لأبعثن على أولئك منهم فتنة تدع الحليم منهم حيران) (١٥) .

ويؤكده قوله تعالى : ﴿ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾ (١٦) .

على صاحب الدعوة الشرعية ان يكون ايجابيا في دعوته — يدعو — ويترك النتيجة الى الله ولا تشغله عن مهمته هذه عدم الاستجابة لدعوته أو اعراض من يدعوهم لأن الله تعالى يقول في بيان ذلك ﴿وماجعلناك عليهم حفيظا . وما أنت عليهم بوكيل﴾ (١٧) .

يقول صاحب الظلال — رحمه الله — ان صاحب الدعوة لا يجوز أن يعلق قلبه وأمله وعمله بالمعرضين عن الدعوة المعاندين لها الذين لا تنفتح قلوبهم لدلائل الهدى وموجبات الايمان ، وانما يجب أن يفرغ قلبه ويوجه أمله وعمله للذين سمعوا واستجابوا ، فهؤلاء في حاجة الى بناء أخلاقهم وسلوكهم

(١٤) سورة الأنعام : الآية / ١٠٨ .
(١٥) أخرجه الترمذي ، انظر : الأحاديث القدسية طبعة المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية القاهرة ، ص :٢٩٢—٢٩٣ .
(١٦) سورة الصف : الآية / ٢ .
(١٧) سورة الأنعام : الآية / ١٠٧ .

قال تعالى : **﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم﴾** (١٤) .

ويجب على من يتصدر للدعوة أن يكون كيسا فطنا متحليا بالاستقامة في سلوكه وعمله ، ملتزما بالمبادىء الأخلاقية والدينية التى يدعو الناس اليها حتى لا يشبه ــ بتركه مايأمر به ــ خطباء أو دعاة الفتنة أولئك الذين حذر منهم الرسول الكريم حينما قال : **(يخرج في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين ، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين ، ألسنتهم أحلى من السكر ، وقلوبهم قلوب الذئاب .. يقول الله عز وجل : أبي يغترون ؟ أم على يجترئون ؟ . فبى حلفت لأبعثن على أولئك منهم فتنة تدع الحليم منهم حيران)** (١٥) .

وهذا مايؤكده قوله تعالى **﴿ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾** (١٦) .

وعلى الداعية ان يكون ايجابيا في دعوته ــ يدعو ــ ويترك النتيجة الى الله ، لا يشغله عن مهمته هذه عدم الاستجابة لدعوته أو اعراض من يدعوهم اليها ، فالله تعالى يقول في بيان ذلك **﴿وماجعلناك عليهم حفيظا . وما أنت عليهم بوكيل﴾** (١٧) .

يقول صاحب الظلال ــ رحمه الله ــ ان صاحب الدعوة لا يجوز أن يعلق قلبه وأمله وعمله بالمعرضين عن الدعوة المعاندين لها الذين لا تنفتح قلوبهم لدلائل الهدى وموجبات الايمان ، وانما يجب أن يفرغ قلبه ويوجه أمله وعمله الى الذين سمعوا واستجابوا ، فهؤلاء في حاجة الى بناء أخلاقهم وسلوكهم

---

(١٤) سورة الأنعام : الآية /١٠٨ .

(١٥) أخرجه الترمذي ، انظر : الأحاديث القدسية طبعة المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية القاهرة ، ص :٢٩٢ــ٢٩٣ .

(١٦) سورة الصف : الآية /٢ .

(١٧) سورة الأنعام : الآية /١٠٧ .

ومجتمعهم الصغير على هذا الأساس نفسه ، .. فهؤلاء في حاجة الى بناء كيانهم كله على القاعدة التى بنى الدين عليها ــ قاعدة العقيدة ــ وهم في حاجة لانشاء تصور لهم كامل عميق عن الوجود والحياة على أساس هذه العقيدة ، وفي حاجة الى بناء أخلاقهم وسلوكهم ، وبناء مجتمعهم الصغير على هذا الأساس نفسه [١٨] .

أسلوب الداعية مع غير المسلمين :

أما دعوة غير المسلمين فلا تقتضي وضع الدين ــ كله ــ أمامهم بل يجب على الداعية أن يضع بأسلوبه في الدعوة الحقائق الأساسية أولا أمام هؤلاء ، كحقائق الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر ، وبعد اقناعهم بذلك يقنعهم بالأحكام والمقتضيات الأخرى المتفرعة عن أصل الدعوة إلى الاسلام ومنهجه ، هذا مع ملاحظة أن الرسول ﷺ أمر بالاعراض عن المشركين في أدب ووقار وترفع يليق بمقام هذا الدين .

وفي ذلك يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿**ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم**﴾ [١٩] .

(يقول تعالى ناهيا لرسوله ﷺ والمؤمنين عن سب آلهة المشركين ، وان كان فيه مصلحة ، الا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها ، وهي مقابلة المشركين بسب اله المؤمنين ، وهو الله لا إله إلا هو) [٢٠] .

ويقول الراغب الأصفهاني في تفسير قوله تعالى : ﴿**ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم**﴾ .. العدو : هو التجاوز ومنافاة الالتئام

---

(١٨) الشهيد سيد قطب ، في ظلال القرآن ، المجلد الثاني ، جـ/ ٧ ١١٦٩ .

(١٩) سورة الأنعام : الآية /١٠٨ .

(٢٠) تفسير ابن كثير ، المرجع السابق ، سورة الأنعام : ٣ /٢٠٧ ، وابن هشام : ١ /٣٥٧ .

ويستعمل في الاخلال بالعدل في المعاملة فيقال له العدوان ، والعدو معنى فيسبوا الله عدوا بغير علم ، أى بغير حق باخلال في المعاملة وعدوان وظلم وبعد الجهل بغير علم .

ومع أنهم ظالمون وجاهلون بشركهم بالله ، الا أن هذا موقف القرآن الكريم منهم ، فأمرهم الى الله سبحانه سيحاسبهم على عدم استقامتهم وامتثالهم لدعوته في هذه الحياة الدنيا .

روى الشيخان في ذلك أن رسول الله ﷺ حينما أرسل معاذا بن جبل الى اليمن أوصاه قائلا : (**انك ستأتي قوما من أهل الكتاب فاذا جئتهم فادعهم الى أن يشهدوا أن لا اله الا الله**) [٢١] .

وغنى عن البيان أن رسول الله في دعوته لغير المسلمين كان خير مترجم أمين لتوجيهات المنهج الالهي القرآني العظيم . فكان عليه الصلاة والسلام يبعث الى ملوك ورؤساء القبائل والبلاد المجاورة والبعيدة برسله ، ورسائله التى تحمل اليهم دعوته الى دين الله بأسلوب غاية في السمو والحكمة والموعظة الحسنة .

منهج الرسول ﷺ في دعوته أهل الكتاب :

من ذلك ــ مثلا ــ كتابه الكريم الذي بعث به دحية الكلبي الى هرقل عظيم الروم والذي جاء فيه : (**من محمد بن عبدالله ورسوله الى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فان عليك اثم الأريسيين** [٢٢].. ﴿**وياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا**

(٢١) متفق عليه .

(٢٢) الأريسيين : أى أهل مملكته وأتباعه ، وقال الخطابي : أراد أن عليه اثم الضعفاء والأتباع اذا لم يسلموا تقليداً له . ووردت بمعنى (الفلاحين) لقول ابن سيده : الأرسي : الأكار ، أى الفلاح عند ثعلب ، وقال الجوهري هي لغة شامية .

نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله . فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ (٢٣) .

وقال هرقل في هذا الصدد (.. ولو أني أعلم أني أخلص ــ أصل ــ اليه لأحببت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ، وليبلغن ملكه ماتحت قدمي .. ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه ..) (٢٤) ، فاذا فيه . (٢٥) .

وأرسل النبي أيضا عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي (ملك الحبشة) واسمه «أصحمة» (وهي بالعربية تعني : عطيه) . فعظم كتاب النبي ﷺ ، ثم أسلم وشهد شهادة الحق وكان من أعلم الناس بالانجيل .

فبلغ ذلك النبي ، فلما مات النجاشي ﷺ واستغفر له . وكان موت النجاشي في رجب سنة تسع للهجرة ، ونعاه رسول الله في اليوم الذي مات فيه . وصلى عليه بالبقيع . وتكلم المنافقون ــ في شيء من التعجب ــ وتسألوا : أيصلي على هذا العلج ؟! فأنزل الله تعالى **﴿وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وماأنزل اليكم وماأنزل اليهم﴾** (٢٦) .

يؤكد ذلك ماذكره ابن اسحاق من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت : لما نزلنا أرض الحبشة ، جاورنا بها خير جار النجاشي ، آمننا على ديننا ، وعبدنا الله تعالى لا نؤذي ولا نسمع شيئا نكرهه .. ثم قالت وقد دعا النجاشي أساقفته (علماء النصارى) فنشر مصاحفهم حوله ، (وسأل وفد محمد : ماهذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني ، ولا في دين أحد من هذه

---

(٢٣) زاد المعاد ، المرجع السابق ، مج ٣ /٦٨٨ .

(٢٤) البخاري ، مج /١ ، «كتاب بدء الوحي» الحديث رقم (٦) ، ص ٣٢ــ٣٣ .

(٢٥) بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد عبدالله ورسوله الى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فاني أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فان عليك اثم الاريسيين . **﴿قل يا أهل الكتب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم . ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله . فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾** (آل عمران : ٦٤) .

(٢٦) ابن هشام : السيرة النبوية ، ١ /٣٤١ ، هامش ٤ .

الملل ؟) [٢٧] .

فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب ــ رضوان الله عليه ــ فقال له النجاشي : هل معك مما جاء به ــ يعني رسول الله ــ عن الله من شيء ؟

فقال له جعفر : نعم ، فقال له النجاشي فاقرأه عليَّ ، قالت فقرأ عليه صدرا من «كهيعص» . قالت : فبكى والله النجاشي حتى اخضلت (أى ابتلت) لحيته ، وبكت أساقفته حتى أخضلوا (بللوا) مصاحفهم حين سمعوا ماتلا عليهم ، ثم قال (لهم) النجاشي : ان هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة [٢٨] .

بطلان دعوى اكراه الاسلام لغير المسلمين :

وكتب الى النجاشي : «بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله الى النجاشي ملك الحبشة ، أسلم أنت ، فانى أحمد اليك الله الذي لا إله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى ، عليه السلام ، فخلقه الله من روحه ونفخه ، كما خلق آدم بيده ، وانى ادعوك الى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته ، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني ، فاني رسول الله ، واني أدعوك وجنودك الى الله عز وجل ، وقد بلغت ونصحت ، فأقبلوا نصيحتي ، والسلام على من اتبع الهدى» [٢٩] .

ورد النجاشي على ذلك الكتاب بكتابه قائلا :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الى محمد رسول الله ، من النجاشي أصحمة ، سلام عليك يانبي الله من الله ورحمة الله وبركاته ، الله الذى لا اله الا هو ، أما بعد : فقد بلغني كتابك يارسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى ، فورب السماء

(٢٧) ابن هشام ، المرجع السابق ، ١ /٣٣٤ــ٣٣٦ .

(٢٨) أراد أن «مصدر» هذا الكلام ــ القرآن والانجيل واحد ــ وهو الله تعالى .

(٢٩) زاد المعاد ، ابن قيم الجوزيه ، مرجع سابق ذكره ، ٣ /٦٨٨ ــ ٦٩٠ .

والأرض ، ان عيسى لا يزيد عما ذكرت «ثفروقا» ، انه كما ذكرت ، وقد عرفنا مابعثت به الينا ، وقد قربنا ابن عمك وأصحابه ، فأشهد انك رسول الله صادقا مصدقا ، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك ، وأسلمت على يديه لله رب العالمين» [٣٠] .

هكذا تنتفي دعوى حمل الناس على الاقناع اكراها ، وتصبح مقولة حمل الاسلام السيف لارغام غير المؤمنين به على اعتناقه دعوى لا سند لها ولا قائم عليها من دليل . اذ يقول الله تعالى : ﴿**لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي . فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم**﴾ [٣١] .

على هذا المبدأ القرآني سار المسلمون الأوائل طوال تاريخهم وعهدهم في الدعوة الى الله وفي معاملاتهم السلمية والحربية مع أهل الأديان والنحل الأخرى . فلم تكن ثمة دعوة للاسلام بحد السيف كما زعم — ويزعم — المبطلون ، ولكن — فقط — كانت دفاعا عن الله ومنهج القرآن الصالح لكل زمان ومكان .

ان الحرب — وهي ضرورة — شرعت في الاسلام لازالة الطوغيت — الفراعنة — في الأرض الذين يحولون بمواقفهم بين الناس وبين سماع كلمة الله والايمان بهذا الدين والانقياد اليه في حياتهم الدنيا .

هؤلاء الذين يدَّعون حق الألوهية ويغتصبون حق التشريع في الأرض ويتعبدون الناس من دون الله ، ويسعون في نفس الوقت الى تعطيل أحكام الله وقوانينه ، فيحولون بينها وبين التطبيق !!

عندئذ ، وفي مثل هذه الحالات ، يحمل الاسلام السيف لا للقهر

---

(٣٠) نفس المرجع ، وانظر : سيرة ابن هشام ، المرجع السابق ، ١ /٣٣٦ .
(٣١) سورة البقرة : الآية /٢٥٦ .

والاجبار ، وانما للذود عن مبدأ أساسي من مبادئه .. مبدأ حرية تبليغ دعوة الله الى الناس جميعا ، وحرية العقيدة ، بل حرية الفرار الى الله تعالى : ﴿**أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله**﴾ (٣٢) .

فذلك اذن الهى بدفع العدوان والظلم ، وهو مايؤكد — في الوقت نفسه — الروح السلمية في منهج الدعوة الى الله عز وجل . ودليل ذلك ماورد في كتاب الله عز وجل من نهيه عن قتال أهل الكتاب الذين لم يقاتلوننا ، والاكتفاء منهم بأخذ الجزية في مقابل حمايتهم وتوفير الأمن لهم ضد أى اعتداء .

ولقد قرر أمير المؤمنين — عمر بن الخطاب — رضي الله عنه هذه السياسة الشرعية الحكيمة في معاهداته مع أهل بيت المقدس عقب فتحه له ، حينما قال : ولا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم .

على هذا النحو تمتع الذميون — أهل الكتاب — بكامل حقوقهم حيث تؤكد الشواهد التاريخية والجغرافية على اندماج المسلمين مع غيرهم اندماجا تاما في اطار العيش في مجتمع اسلامي حر مفتوح ينعم أفراده بالأمن والاستقرار والأمان الى الحد الذي دفع هؤلاء انفسهم للاعتراف بسماحة الاسلام وسمو دعوته .

وشهادة هؤلاء شهادة يحق أن نفخر بها ونعتز ، باعتبارها اعترافا صادرا عن أناس لا يدينون بهذا الدين الاسلامي ، فهي شهادة بعيدة كل البعد عن الهوى أو منطق المجاملة .

ولعل مايؤكد ذلك مقاله «سيرت» و «أرنولد» في كتابه (الدعوة الى

---

(٣٢) سورة الحج : الآية /٣٩ .

الاسلام) حيث قرر مانصه : (نستطيع أن نستخلص بحق أن هذه القبائل المسيحية التى اعتنقت الاسلام انما فعلت ذلك عن اختيار وإرادة حرة ، وان العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد عيان على هذا التسامح) [٣٣] .

وهكذا يتأكد لنا أن حروب الاسلام لم تكن الا لاعلاء كلمة الله في الأرض ، وجعل السلطة العليا في الحكم والتشريع لله وحده ، وافراده سبحانه بالعبودية في هذا الكون العظيم .

قال تعالى : ﴿**ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن . الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا . وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون**﴾ [٣٤] وقوله تعالى ﴿**قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله**﴾ [٣٥] .

أهداف الدعوة في القرآن والسنة :

لم يقف المنهج القرآني والهدى النبوي بأسلوب الدعوة الى الله عند هذا الحد وكفى ، وانما راحا يحدد ان ــ معا ــ الهدف والغاية من هذه الدعوة فى أمرين رئيسيين هما : الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . والتأكيد على عالمية المنهج ذاته بحسب انه منج الله وسبيل الله الى الناس في الأرض .

---

(٣٣) كتاب : العدل والتسامح الاسلامي ، للمؤلف ، (دعوة الحق) العدد /٦٧ ، ١٤٠٧ هـ ــ ١٩٨٧ م ، الفصل الأول ، المبحث الأول «اعترافات المستشرقين بعدالة الاسلام وتسامحه» ، ص ٣٩ــ٤٣ .

(٣٤) سورة العنكبوت : الآية /٤٦ .

(٣٥) سورة الجاثية : الآية /١٤ .

قال تعالى : ﴿**ان الدين عند الله الاسلام**﴾ [1] ، وقوله ﴿**وليكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**﴾ [2] . وقوله عز وجل ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾ [3] . وقوله تعالى ﴿**الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر**﴾ [4] وكذلك ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض . يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**﴾ [5] .

وتبدو تلك الأهداف واضحة في السنة النبوية الشريفة في قول الرسول ﷺ لثعلبة الخشني وهو يشرح له معنى قول الله عز وجل : ﴿**ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم**﴾ [6] .

ياثعلبة : (مر بالمعروف وانه عن المنكر ، فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودينا مؤثرة «مفضلة على الآخرة» .. واعجاب كل ذي رأى برأيه ، فعليك بنفسك ودع عنك العوام . ان من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل الذي أنتم عليه أجر خمسين منكم ، قيل : بل منهم يارسول الله قال : لا ، بل منكم لأنكم تجدون على الخير أعوانا ولا يجدون عليه أعوانا) [7] .

وللامام مسلم عن النبي ﷺ أنه قال (**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان**

---

(١) سورة آل عمران : الآية /١٩

(٢) سورة آل عمران : الآية /١٠٤ .

(٣) سورة آل عمران : الآية /١١٠ .

(٤) سورة الحج : الآية / ٤١ .

(٥) رواه ابوداود وابن ماجه .

(٦) سورة المائدة : الآية /١٠٥ .

(٧) رواه الترمذي وحسنه .

لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان) [٨] .

وعن النبي الكريم أنه قال (**لتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم)** [٩] .

أما عن كيفية النصح والارشاد والوعظ للحاكم المسلم في هذا المقام ، فقد أوضحها الامام ابن الجوزى في قوله : (يدعى السلطان بالوعظ بكلام لين لا خشونة فيه ولا أذى — غير ذلك — الى فتنة . قال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام : ﴿**اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى**﴾ [١٠] .

وذكر الامام الغزالي في «الاحياء» وجوب اللين مع السلطان في وعظه ، وعدم خرق هيبته ، لما روى في ذلك : (من كانت عنده نصيحة لذي سلطان فلا يكلمه بها علانية ، وليأخذ بيده فليخل به — يعني يسرها اليه — فان قبلها فبها ونعم ، والا كان قد أدى الذي عليه والذي له) [١١] .

خلاصة القول : انه يجب على كل فرد مسلم — قادر بالدرجة الأولى — وجد المعروف متروكا أن يأمر به ، أو شاهد المنكر واقعا والخطأ مرتكبا ، ووجد في نفسه وباستطاعته القدرة على تغييره أو إزالته ومنعه فليفعل ، من واقع مفهوم الحكمة والموعظة الحسنة ، والا اعتبره الاسلام مقصرا في أمر وجب عليه . مصداقا لقوله تعالى : ﴿**ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين**﴾ [١٢] .

---

(٨) صحيح مسلم .
(٩) البخاري .
(١٠) سورة طه : آيتي / ٤٣،٤٤ .
(١١) رواه الحاكم في المستدرك من حديث عياض بن غنم ، انظر : احياء علوم الدين ، السابق ، ص : ٢٨ .
(١٢) سورة فصلت : الآية /٣٣ .

الفصل الثالث

الإسلام واعداد الشباب

* الاسلام والتوجيه التربوي
* دستور الحياة الأمثل للشباب
* نماذج من الشباب حول النبي

الإسلام وإعداد الشباب

الإسلام والتوجيه التربوي :

لايخفى أن الشباب المسلم هو قلب الأمة النابض ، وعقلها المفكر ، وحركة حياتها المتحفزة نحو الانطلاق ، المتفاعلة في دائرة الأحداث عبر تاريخ الانسانية والفكر الاسلامي الشامل جعله وتفصيلا . وهو عقد الأمة الاسلامية بين ماضيها السلفي الراسخ وحاضرها المتطور ،، ومستقبلها المتطلع نحو المثل العليا والقيم الاخلاقية الاسلامية الرفيعة .

تلك القيم التى تحصن الفرد والمجتمع معا من الانزلاق أو الوقوع في مهاوي الانحراف والانحطاط الأخلاقي والاجتماعي المدمر .

لذلك فقد اهتم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة باعداد الشباب وتربيته وتوجيهه أخلاقيا واجتماعيا بهدف تأكيد العزة والكرامة للانسان المسلم ، كما قال تعالى ﴿**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**﴾ (سورة المنافقون ، الآية : ٨) .

ويبرز اهتمام الاسلام بالشباب — أول مايبرز — في جانبين رئيسيين هما :

* التوجيه التربوي (الأدبي) .
* دستور الحياة الأمثل للشباب .

فمن المعلوم أن النفس البشرية جبلت — في غالب أحوالها — على النزوع الى المخالفة واستنكاف الأمور التكليفية والخروج عليها والتمرد . وهو ماكان مدخلا لأسس التوجيه التربوي الاسلامي ، وهدفا لضبط سلوكيات شبابنا المسلم . والتسامي بأمزجته ، وكبح جماح رغباته المتعجرفة ورد غروه في اطار اسلوب الرفق واللين تارة ، والترغيب والترهيب تارة أخرى .

وكان أول ماركز عليه الاسلام ودعا اليه هو الأدب مع الآباء والأمهات ومعاملتهم بالاحسان والحسنى وبذل الخير والمعروف لهم من جانب أبنائهم

وعدم مخالفة أوامرهم ــ الا في معصية تغضب لله ﴿**وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا**﴾ (١) .

ووصية أخرى في قوله تعالى : ﴿**ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إلي المصير**﴾(٢) ﴿**وصاحبهما في الدنيا معروفا**﴾

وقد عظم رسول الله ﷺ أمر احترام الوالدين وأعلى من قدرهما علوا كبيرا ، لاسيما الأمهات ، ففي الحديث الشريف قال النبي للرجل الذي سأله قائلا : (من أحق الناس بحسن صحبتي ؟ قال : **أمك** ، قال ثم من ؟ قال : **أمك** ، قال : ثم من ؟ قال : **أمك** ، قال : ثم من ؟ قال : **أبوك**) (٣) .

وقال ﷺ : «**ان الله حرم عليكم عقوق الأمهات** ..» (٤) .

وفي السنة كذلك . (جاء رجل من الأنصار فقال : يارسول الله هل بقى على شيء من بر أبوي بعد موتهما أبرهما به قال **نعم** ، **خصال أربع : الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وانفاذ عهدهما ، واكرام صديقهما ، وصلة الرحم التي لا رحم لك الا من قبلها ، فهو الذي بقى عليك من برهما بعد موتهما**) (٥) .

وبين لنا الرسول الكريم جزاء من يشاقق والديه أو يعقهما فقال عليه الصلاة والسلام (**كل الذنوب يؤخر الله منها ماشاء الى يوم القيامة ، الا عقوق**

---

(١) سورة الاسراء : آيتي / ٢٣ ، ٢٤ .
(٢) سورة لقمان : الآية / ١٤ .
(٣) متفق عليه ، انظر : رياض الصالحين ، للنووي ، مرجع سابق ذكره الحديث (٣١٤) ، ص : ١٥٦ــ١٥٧ .
(٤) متفق عليه ، انظر منهاج المسلم ، أبوبكر الجزائري ، ط ٨ : القاهرة ، ص : ٩٩ــ١٠٠ .
(٥) رواه أبوداود .

الوالدين فان الله يعجله لصاحبه في الحياة قبل الموت) [٦] .

وهكذا يبين بجلاء ـــ كما أخبر الرسول ﷺ ـــ أن عقوق الوالدين كبيرة من أكبر الكبائر ، وهي تعدل في ذلك كبيرة «الاشراك بالله» .. وروى الامام مسلم : («ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قالوا بلى يارسول الله ، قال : **الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين»)** [٧] .

دستور الحياة الأمثل للشباب :

أما فيما يتعلق بالجانب الثاني : دستور الحياة الأمثل للشباب المسلم فيمكن القول ان هذا الدستور الذي جاء به الهدى الالهي تعليما وتوجيها ، وسنة رسول الله منهجا ـــ قولا وعملا ـــ لهو دستور حياة كامل متكامل ، اذ تأسس عليه منهج الاسلام الشامل في التوجيه والاعداد .

فالقاعدة الأولى من قواعده تنص على : الدعوة الى الخير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي التي ينعقد عليها صلاح أمر الشباب وعمود تهذيب سلوكه وأخلاقه في المجتمع .

وقد أوضحت سورة (النور) جملة من آداب السلوك الاجتماعي نذكر منها ـــ اجمالا ـــ أدب الاستئذان قبل اتيان البيوت وفي داخلها أيضا . والأمر بغض البصر وحفظ الفروج ، والنهي عن ابداء الزينة أو التبرج للأجانب غير المحارم . والدعوة الى الزواج بغية العفاف تحقيقا لصيانة الأعراض وحمايتها من اختلاط الأنساب وابعادها عن مزالق الشيوعية الجنسية الآثمة .

فالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لم يغفلا معا وجود نظام اجتماعي أخلاقي تصان فيه الحدود والحرمات وتحترم فيه منزلة المسلمين ، فدعيا الى

---

(٦) رواه مسلم بمعناه .

(٧) رواه مسلم .

فضيلة العفاف عند قل المؤنة أو العجز عن تحمل أعباء معيشة أسرة ، أو قصر يد الطول عن ذلك حينا من الدهر .

قال تعالى : ﴿**وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء أن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم**﴾ (٨) .

الى هذا الحد كان اهتمام السورة الكريمة بقضية الدعارة والتسرى ، فحذرت ــ في شدة وصرامة ــ من دفع الفتيات الى جريمة الزنا والمعاشرة غير الشرعية ، أسفا أن تحدث في مجتمع الاسلام ، فتهدر كيانه ، وتزعزع الثقة في أخلاق المسلمين ، فتفسد ذممهم وتمحى صحوة ضمائرهم . معاذ الله .

من هنا جاء النداء النبوي الشريف : «**يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة (مؤنة الزواج ونفقاته) فليتزوج ، فانه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء ــ أى وقاية ــ**» (٩) .

في مواقف ووقفات «نماذج» شابة فتية ضربت من نفسها أروع الأمثلة للبطولة والتضحية والدفاع عن عقيدتها الاسلامية دفاعا حرا مستميتا ، فقد افتدت ــ هذه الجماعة ــ الاسلام ورسوله ــ بأرواحها الطاهرة ونفوسها الزكية ، فاضحت بغير شك «نماذج» تحتذى ، نستمد منها الدروس ونستخلص العبر .

ونكتفي من تلكم النماذج بأربعة رجال ممن صدقوا ماعاهدوا عليه ، لعلنا

---

(٨) سورة النور : الآية / ٣٣ .

(٩) رواه البخاري ، «كتاب الصيام» .

نخلص من خلال استقراء مواقفهم البطولية والفدائية الى وضع النقاط على الحروف كما يقولون .

* * *

ابان دعوة النبي الكريم الى الدين الجديد ــ الاسلام ــ وعلى أثر صدى دعوته المباركة لوحدانية الله تعالى «لا إله إلّا الله محمد رسول الله» التف حول رسول الله جمع من شباب (مكة) ورجالاتها ونسائها وبعض نفر من البلاد المجاورة لها آنذاك . فكان الواحد منهم أمة قانتا لله ، ونموذجا لطموحات «الشباب المسلمين» .

الفت هذا الجمع حول رسول الله يدافع عنه وعن عقيدته بكل نفس ونفيس .. يصون دعوته ويحفظ عهده وبيعته ، فأوقدوا ــ جميعا ــ نور الهداية وأرشدوا الى صراط الله المستقيم أهلهم ومن بلغهم أمر ذلك الدين القيم .

نماذج من الشباب حول النبي :

في بداية دعوة الرسول الكريم الى الاسلام بدأت الأحداث تتعاقب ، ومع تعاقبها لاحت مواقف البطولة لفدائيو الاسلام تتجلى فهذا الفتى (علي) بن أبي طالب كرم الله وجهه ــ أول فدائي في الاسلام ــ ضرب لنا أروع الأمثلة في الشجاعة النادرة ، والاقدام المستميت .

فكاد بمبيته على فراش النبي محمد ليلة الهجرة أن يقدم نفسه للمتآمرين على رسول الله في تلك الليلة والذين كانوا يتربصون له حتى لحظة خروجه من بيته فينقضون عليه ويضربونه ضربة رجل واحد فيفرق دمه ــ ﷺ ــ بين القبائل . ولكن قضى الله لرسوله وللفتى «عليا» أمرا كان مفعولا .

لقد قدم الفتى نفسه طواعية باقتناع المؤمن الواعي في كل عمل يكلف به في سبيل نصرة دعوة الله وجعل كلمته ــ سبحانه ــ هي العليا وكلمة الذين

كفروا السلفى . فقد نام علي على فراش النبي ورد كيد (قريش) في نحورهم فانقلبوا بغيظ خاسرين .

وكان النبي الكريم قد عهد اليه ــ قبل الخروج ــ برد الأمانات والودائع التي كانت عند رسول الله الى أصحابها ، بالفعل قام الفتى بالمهمة على أكمل وجه [١٠] .

وبينما أعدت قريش عدتها وعتادها وخرجت تثأر لقتلاها يوم «بدر» اذا بالامام يصول ويجول في أرض المعركة مظهرا مقدرته القتالية ، حيث حمل اللواء .. بينما كانت يده الأخرى قابضة على سيف النبي «ذو الفقار» ..

وحسبنا بيانا لموقف الامام الشجاع ماذكره ابن هشام أن ابن أبي نجيح قال : نادى مناد يوم أحد :

لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي [١١] !!

ونموذج ثان نجده في واقعة اسلام (بلال بن رباح) ، ومالاقاه من أذى سيده «أمية بن خلف» وتعذيبه وتنكيله به أشد التنكيل ، فقد كان ــ أمية ــ يطرحه على ظهره في بطحاء مكة اذا حميت الظهيرة ، ثم يأمر بالصخرة الكبيرة الملتهبة فتوضع على صدره قائلا له : (لا والله) لا تزال هكذا حتى تموت ، أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى . !!

فلم يكن من (بلال) رضي الله عنه وهو في هذه المحنة إلا ان رد عليه قائلا : أحد أحد . وفي غزوة بدر الكبرى يلمح بلال أمية بن خلف فاذا به يصيح قائلا : رأس الكفر أمية بن خلف ، لا نجوت ان نجا .. فقال عبدالرحمن بن عوف تعليقا على ذلك : يرحم الله بلالا فجعني بأدراعي

---

(١٠) انظر : السيرة النبوية ، ابن هشان ، ١ /٤٨٥ .
(١١) ابن هشام ، ٢ /١٠٠ .

وبأسيري يعني : أمية بن خلف . [١٢] .

وظل بلال على نهجه سائرا ومجاهدا فكان نعم (العبد) ، بل نعم (السيد) كما قال عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أعتقه أبوبكر الصديق واتخذه الرسول الكريم مؤذنا له ، أبوبكر سيدنا وأعتق سيدنا .

أما النموذج الثالث فهو «أبوذر الغفاري» فبعد أن أسلم وشهد «أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله» ، قال له الرسول الكريم : (**انى قد وجهت الى أرض ذات نخل فلا أحسبها الا يثرب ، فهل أنت مبلغ قومك .. لعل الله عز وجل ينفعهم بك ويأجرك فيهم** ؟ فقال أبوذر نعم أفعل ان شاء الله) .

وانطلق أبوذر الى أهله وبلده «غفار» حاملا لواء دعوة النبي حتى أتى أخاه أنيسا ودار بينهما حوار بان لأنيس منه اسلام أبي ذر رضي الله عنه . فتعجب من ذلك ، الا أنه أخذ يشرح له مزايا هذا الدين الجديد . وعرض ـــ أبوذر ـــ على أمه ان تسلم فأسلمت وصدقا معا بدعوة النبي فسر أبوذر لذلك [١٣] .

وقام يصدع بالأمر ويواجه قومه ويعرض عليهم الاسلام فأنكر عليه أول الأمر «خفاف» ذلك وكان سيد القوم في غفار ، ولكن مالبث أن أسلم بعد ان شرح له أبوذر فضل هذا الدين الجديد ، فما كان من ذلك إلا ان أسلمت غفار جميعها .

وحقا فعل أبوذر وصدقا بلغ .. فكان نموذجا يحتذى في الدعوة الى الله ، «فوالله ماأقلت الغبراء ولا أظللت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر» .

وأما النموذج الرابع فهو مصعب بن عمير رضي الله عنه ، كان من جلة الصحابة وفضلائهم ، من أوائل من هاجر الى الحبشة ، ثم شهد (بدرا) . بعثه

---

(١٢) السيرة النبوية ، (مقتل أمية بن خلف) ، ٢ /٦٣١ .

(١٣) ابن هشام ، المرجع السابق ، وصحيح مسلم : ٥ /١٦ ، «باب فضائل الصحابة» (فضائل أبي ذر) ص : ٢٧ــ٣٤ .

رسول الله ﷺ ـــ قبل الهجرة بعد العقبة الثانية ـــ الى المدينة يقرئهم القرآن ويفقهم في الدين فكان يسمى المقرىء بالمدينة ، وكان يصلي بهم[١٤] .

وأقام مصعب آنذاك عند أسعد بن زرارة وظل عنده يدعو الناس الى الاسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون ..

ولم يقف مصعب بن عمير بدوره عند هذا الحد ، وانما راح يسجل بمواقفه البطولية في غزوتي «بدر الكبرى» و «أحد» أروع الأمثلة للتضحية والفداء من أجل جعل كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى .

يقول ابن سعد في «الطبقات الكبرى» كاشفا شجاعة مصعب ودفاعه عن رسول الله في معركة «أحد» : حمل مصعب اللواء يوم أحد ، فلما جال المسلمون ثبت مصعب باللواء فأقبل عليه ابن قميئة الليثي ـــ وهو من المشركين ـــ فضرب يده اليمنى فقطعها ، ومصعب مازال قابضا على اللواء وهو يقول : «ومامحمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ..» (وحنى على اللواء بيده اليسرى فضربها ابن قميئة فقطعها فحنا مصعب على اللواء وأمسكه بعضديه وضمه الى صدره وهو يقول : **﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾**[١٥] (سورة آل عمران : آية ١٤٤) .

ثم حمل عليه الثالثة فأنفذ سيفه في عنقه فوقع مصعب شهيدا «فلما قتل مصعب أعطى رسول الله ﷺ اللواء علي بن أبي طالب ، وقاتل علي بن أبي طالب ورجال من المسلمين» [١٦] .

وهكذا كان مصعب بن عمير ومن معه يوم «بدر» و «أحد» فصدق فيهم

---

(١٤) ابن هشام ، ١ /٤٣٤ .

(١٥) السيرة النبوية ، المرجع السابق ، ٢ /٧٣ ومابعدها .

(١٦) ابن هشام ، ٢ /٧٣ .

قول الله تعالى : ﴿**من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه . فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا**﴾ (سورة الأحزاب آية : ٢٣) .

﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ، ماكان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ [١٧] .

ماأجدر شبابنا المسلم ــ لاسيما في هذا العصر المضطرب ــ أن يطالع سيرهم وأخبارهم وأن يتأسى بهم في سلوكه ومسلكه ، وأن يعيد النظر من داخله ومع نفسه في موقفه العملى من واقع هذا الدين عملا والتزاما وتمسكا به وقت أحوج مايكون فيه الاسلام من جديد .

---

(١٧) سورة يوسف : الآية /١١١ .

الفصل الرابع

دروس من غزوة حنين

* مقدمات وأسباب .
* ثبات الرسول ﷺ وفرار المسلمين !
* لماذا انهزم المسلمون أول الأمر ؟
* حكمة الرسول ﷺ في رد الغنائم وتوزيع الفيء .
* دروس من الغزوة .

دروس من غزوة حنين

مقدمات وأسـباب :

بعد الهجرة من مكة الى المدينة قامت أول مدرسة عسكرية في تاريخ الاسلام على أساسين عظيمين هما : القرآن الكريم والسنة النبوية . وقد عالج الاسلام على ضوئهما شؤون الحرب والدفاع باعتبارها ظاهرة اجتماعية لا سبيل للمنهج في الاستغناء عنها . وقرر في ذلك خير المناهج والمبادىء فيما يتصل بالحرب من حيث أهدافها وقوانينها وآدابها ـــ بل ومشروعيتها كذلك . (٥) (١) .

وقد أظهر لنا الرسول ﷺ في غزواته ومعاركه الحربية مالا يتسامى اليه قادة الحروب في الدول المعاصرة ، وكان هدفه من ذلك هو والذين معه الدفاع عن عقيدتهم ودينهم الجديد ، **﴿ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾** (٢) .

لما أفاء الله على الرسول الكريم بفتح مكة وآمنت قريش به بعد معاداتها ولرسالته الغراء ، ودخل الناس في دين الله أفواجا لم يحل ذلك من وجود بعض القبائل مثل «هوازن» و «ثقيف» وقد أغاظهم هذا النصر المبين .

فكان من «المقدمات» والأسباب .. مافعله «بنو بكر» ومعهم جماعة من قريش انتهزوا تلك الهدنة وانقضوا على قبيلة «خزاعة» وقتلوا بعضا منها ، وخزاعة آنذاك منضمة إلى حلف رسول الله في معاهدة «صلح الحديبية» .

---

(٥) الغزوات في الاسلام ، المشروعية والاحكام ، مقارنة بمبادىء القانون الدولي العام ، بحث : للمؤلف ، في مجال الانجاز ان شاء الله .

(١) انظر للمزيد والتفصيل : الكتاب القيم بعنوان : الانتصارات العربية العظمى في صدر الاسلام ، تأليف : محمد عبدالحليم أبوغزالة طبعة دار الشعب ، القاهرة ، ١٤٠٣ هـ ـــ ١٩٨٣ م ، الباب الثالث ، الفصل الأول ، ص ٥٧ ـــ ٥٨ ، الفصلين السابع والثامن ص ٩٨ ـــ ١٠٦ .

(٢) سورة يوسف : الآية / ٤٠ .

قال ابن اسحاق : فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة وأصابوا منهم ماأصابوا ، ونقضوا ماكان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة وكان في عقده وعهده ، خرج عمرو بن سالم الخزاعي ، ثم أحد بني كعب حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة ، وكان ذلك مما هاج فتح مكة ، فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظهراني الناس فقال : [٣]

يارب اني ناشد محمـــــدا	حلـف أبينا وأبيـه الأتلـــدا
قد كنتم ولـدا وكنـا والـدا	ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا أعتدا	وادع عباد الله يأتـو مددا
فيهم رسول الله قد تجردا	ان سيم خسفا وجهه تربدا
في فيلق كالبحر يجري مزبدا	ان قريشا أخلفـوك الموعــدا [٤]
ونـــقضوا ميثـــاقك الموكـــدا	وجعلوا لى في كداء رصدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا	وهـــم أذل وأقـــل عددا
هم بيتونـا بالـوتير هجـــدا	وقتلونـــا ركعـــا وسجـــدا

«عندئذ قال رسول الله ﷺ **(نصرت ياعمرو بن سالم)** [٥] . ورأى رسول الله أن نقض قريش للعهد سبب من الأسباب الداعية لفتح مكة .

وتتلخص الأسباب التى أدت إلى قيام غزوة (حنين) فيما يلي :

أولا : نقض قريش عقد الصلح مع قبيلة خزاعة الموالية لحلف الرسول ﷺ في صلح الحديبية .

ثانيا : انتصار المسلمين في فتح مكة بقيادة الرسول الكريم على قريش في

---

(٣) السيرة النبوية ، ابن هشام ، ٢ /٣٩٤ــ٣٩٥ .

(٤) يريد أنهم نقضوا العهد الذي أبرموه معك من قبل .

(٥) زاد المعاد ، فصل «الفتح الأعظم» ، ٣ /٣٩٦ــ٣٩٧ .

السنة الثامنة للهجرة .

ثالثا : هم «هوازن» و «ثقيف» بالاغارة على المسلمين المنتصرين في الفتح الأكبر ، بهدف وقوفهم في وجه الاسلام ومحاولتهم منع انتشاره في أرجاء مكة والبلاد المجاورة لها .

وتأكيدا لذلك أميل الى ماقاله المستشرق الفرنسي آتيين دينيه في تعليق له على موقف تلك القبائل الباغية والمعادية للاسلام ودعوته ، حيث قال مانصه [٦] : «لم يصل محمد قط الى اكتساب ثقة اليهود وضمهم الى صفوفه رغم ماتقدم به اليهم في سبيل ارضائهم ، فلم يكن هؤلاء ليعترفوا — كما قلنا — بأن النبي المرتقب سيأتيهم (من غير أبناء جلدتهم ، ثم لم يكونوا ليغفروا لمحمد (ﷺ) ماجاء به من اخاء ومساواة في الدين ، وانهاء المنازعات الداخلية التى كانت قائمة بين أهل المدينة ، تلك المنازعات التي طالما استغلوها فيما مضى ، فضلا عن أنهم لم ينظروا بعين الرضا الى انتصارات العرب المسلمين ، بل خافوا الوقوع تحت نير حكمهم .

لذا كان كل انتصار جديد لجند المسلمين يزيد في غيرتهم ويدفعهم الى الغدر ، حتى صار عداؤهم للاسلام علنيا ، فاقتضى ذلك من أتباع هذا الدين سلسلة طويلة من الغزوات» أ.هـ .

يروى ابن هشام نقلا عن ابن اسحاق ، في تتابع الأحداث وبداياتها قوله : «سمعت هوازن برسول الله ﷺ ومافتح الله عليه من مكة ، جمعها مالك بن عوف النصرى ، فاجتمع اليه مع هوازن ثقيف كلها ، واجتمعت نصر وجشم كلها ، وسعد بن بكر وناس من بني هلال وهم قليل .. وجماع أمر الناس الى مالك بن عوف النصرى . فلما أجمع السير الى رسول الله ﷺ حط مع الناس

---

(٦) آتيين دينيه ، سليمان ابراهيم ، كتاب «محمد رسول الله» ط القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ٢٥٣ .

أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فلما نزل بأوطاس اجتمع اليه الناس وفيهم دريد بن الصمة» (٧) .

ثبات الرسول وفرار المسلمين :

خرج رسول الله ﷺ معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ، ففتح الله بهم مكة وكانوا اثنى عشر ألفا ، واستعمل عتاب بت أسيد على مكة أميرا ثم مضى يريد لقاء هوازن .

عن جابر بن عبدالله عن أبيه قال : «لما استقبلنا وادى حنين انحدرنا في واد من أودية تهامة أجوف حطوط (أى متسع ومنحدر) انما ننحدر فيه انحدارا قال : وفي عماية (غبش) الصبح ، وكان القوم قد سبقونا الى الوادى فكمنوا (اختبئوا) لنا في شعابه وأحنائه ومضايقه ، قد أجمعوا وتهيئوا ، وأعدوا فوالله ماراعنا — ونحن منحطون — الا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل واحد ، وانشمر الناس راجعين لا يلوى أحد منهم على أحد» (٨) .

وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين ثم قال : (**الى أين أيها الناس ؟ هلم اليَّ أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبدالله**) وبقى مع رسول الله ﷺ نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته .

قال ابن اسحاق : ولما انهزم المسلمون ورأى من كان مع رسول الله ﷺ من جفاة أهل مكة الهزيمة ، تكلم رجال منهم بمافي أنفسهم من الضغن (العداوة) ، «فقال أبوسفيان بن حرب لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ، وان الأزلام لمعه في كنانته ، وصرخ كلدة بن الحنبل : ألا بطل السحر اليوم ، فقال له صفوان أخوه لأمه وكان بعد مشركا : اسكت فض الله فاك ، فوالله لأن يربنى

---

(٧) السيرة النبوية ، المرجع السابق ، ٢ /٤٣٧ــ٤٣٨ .

(٨) زاد المعاد ، ابن قيم الجوزيه ، ٣ /٤٦٨ــ٤٦٩ .

رجل من قريش أحب إليَّ من أن يربيني رجل من هوازن» (٩) .

«وفي ضجة الفزع الذي ساد المعركة أولا ، علت صيحات العباس ووصلت الى آذان الرجال المشدوهين لما وقع فأخذوا يكافحون ليبلغوا مصدر الصوت . اذا أراد أحدهم أن يعطف بعيره ليعود به لا يقدر من ضغط الفارين فما يجد بدا من أن يقذف درعه من عنقه ، ويحمل سيفه وترسه ثم يؤم الصوت» (١٠) .

واجتمع حول رسول الله ﷺ عدد من الرجال الذين دعاهم وهم يصيحون لبيك .. لبيك حتى قارب القوم مائة فاستقبل النبي بهم المشركين وقد استعاد زمام الموقف وأعاد الكرة عليهم .. وكان النبي ﷺ على بغلته يقول :

أنا النبي لا كذب أنا بن عبدالمطلب (١١)

ويدعو : **اللهم أنزل نصرك** . والمهاجرون والأنصار قد التحموا مع رجال هوازن وثقيف .

وفي صحيح مسلم : ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بها في وجوه الكفار ، ثم قال **(انهزموا ورب محمد)** فما هو الا ان رماهم ، فمازلت أرى (حدَّهم) — أى رميهم — كليلا ، أى ضعيفا وهزيلا ، وأمرهم مدبرا .

وذكر ابن اسحاق عن جبير بن مطعم قال : لقد رأيت — قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون يوم حنين مثل البجاد الأسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم ، فلم أشك أنها الملائكة —(١٢)

---

(٩) السيرة النبوية ، ابن هشام ، ٢ /٤٤٣—٤٤٤ .

(١٠) فقه السيرة ، للشيخ محمد الغزالي ، ط ٧ ، القاهرة ، ص : ٤٢٣ .

(١١) زاد المعاد ، المرجع السابق ، ٣ /[٤٧—٤٧٢ .

(١٢) صحيح مسلم ، شرح النووي ، كتاب الجهاد ، ١٢ /١١٦—١١٨ .

لماذا انهزم المسلمون أول الأمر ؟

اقتضت حكمة الله تعالى أن أذاق المسلمين أول الأمر مرارة الهزيمة لأسباب منها :

- اغترارهم بكثرتهم وعدتهم وعتادهم ، فقد ساروا في اثني عشر الفا من المقاتلين ، منهم عشرة آلاف هم الذين فتحوا مكة ، وألفان ممن اسلم من قريش بينهم أبوسفيان بن حرب ، وكلهم تلمع دروعهم وسيوفهم ، ويتقدم كل قبيلة علمها وتمتلىء النفوس كلها اعجابا بهذه الكثرة ، وبأن لا غالب لهم — اليوم — حتى لقد تحدث بعضهم بذلك الى بعض ، وجعلوا يقولون : «لن نغلب اليوم لكثرتنا» !!
- هذا الغرور أبعدهم بعض الشيء عن معية الله تعالى ، فقد حدثتهم أنفسهم بأن الكثرة والقوة هي «كل شيء» في لقاء العدو ، ولم يدركوا أن مشيئة الله تعالى وارادته هي العامل الأول المعين والمحقق لهم النصر على الأعداء وليس قوتهم أو كثرة عددهم هي التي تجبى لهم هذا النصر على الأعداء . بدليل قوله تعالى : ﴿**ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى . وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا**﴾[١٣] . وقوله تعالى : ﴿**ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا**﴾[١٤] .

ومن ثم فقد حلت بهم الهزيمة — مع أنهم يقاتلون عدو الله — ليبين سبحانه لمن قال — منهم — «لن نغلب اليوم عن قلة» أن النصر انما هو من عند الله ، ومن ينصره فلا غالب له ، ومن يخذله فلا ناصر له غيره .

وانه سبحانه هو الذي تولى نصر رسوله ودينه ، لا كثرتكم التى أعجبتكم فلم تغن عنكم شيئا فوليتم مدبرين . فلما انكسرت قلوبهم وعلم الله — وهو

---

(١٣) سورة الأنفال : الآية ١٧١ .

(١٤) سورة التوبة (براءة) الآية /٢٥ .

مطلع عليهم ــ ماهم فيه من حال ، مَنَّ عليهم بالسكينة وعلى رسوله بالثبات ورزقهم النصر المؤزر .

اذن كانت «الهزيمة» للمسلمين أول الأمر في حنين لتحقيق أمرين رئيسيين ، أولهما : تطهيرهم وتنقية نفوسهم وقلوبهم مما أصابهم من غرور بسبب كثرة عددهم وعتادهم ، فخالوا مجيىء النصر لهم وقفا على هذه الأسباب المادية والوسائل البشرية فحسب بعيدا عن معية الله وعونه في ذلك !

الأمر الثاني : تعليم المسلمين درس الأخذ بالأسباب على النحو الذي تريده العناية الالهية لهم ، من ضرورة التوكل على الله حق توكله والاعتقاد فيه رب الأرباب بيده مبادىء الأمور وعواقبها .

نصـر .. وغنيمـة :

وبعد أن عاد المسلمون والصحابة الى رشدهم ومَنَّ الله عليهم بالنصر ، خرج رسول الله ﷺ حتى نزل الى الجعرانة فيمن معه من الصحابة ، ومعه من هوازن سبى كثير .. ثم أتاه وفد هوازن وكان مع رسول الله من سبيهم (أى أسراهم) ستة آلاف من الذرارى والنساء ومن الابل والشاء مالايدرى ماعدده ؟

حكمة الرسول في رد الغنائم وتوزيع الفيء :

فسأل رسول الله ﷺ وفد هوازن عن مالك بن عوف مافعل فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف فقال رسول الله : (**اخبروا مالكا انه ان أتانى مسلما رددت عليه أهله وماله ، وأعطيته مئة من الابل** ، فأتى مالك بذلك وأدرك الرسول بالجعرانة أو بمكة) [1] .

---

(١) ابن هشام ، ٢ /٤٩١ .

قال ابن اسحاق : ولما فرغ رسول الله ﷺ من رد سبايا حنين الى أهلها ركب واتبعه الناس يقولون : يارسول الله: إقسم علينا فيئنا من الابل والغنم ، حتى ألجئوه الى شجرة فاختطفت عنه رداءه ، فقال : (**ردوا على ردائي أيها الناس ، فوالله ان لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعما لقسمته عليكم ، ثم ماألفيتموني بخيلا ولا جبانا ولا كذابا**) .

«ثم قام الى جنب بعير فأخذ وبرة من سنامة فجعلها بين أصبعيه ثم رفعها ، ثم قال : (**أيها الناس والله مالي من فيئكم ولا هذه الوبرة الا الخمس ، والخمس مردود عليكم ، فأدوا الخياط والمخيط** «كناية عن الشيء القليل جدا» ، **فان الغلول** «الخيانة» **يكون على أهله عارا ونارا و** «**شنارا**» «أى فضيحة» **يوم القيامة**) [٢] .

قال ابن اسحاق : «وأعطى رسول الله ﷺ المؤلفة قلوبهم وكانوا أشرافا من أشراف الناس يتألفهم ويتألف بهم قومهم فأعطى أباسفيان ابن حرب مائة بعير ، وأعطى ابنه معاوية مئة بعير ، وأعطى حكيم بن حزام مئة بعير ، وأعطى الحارث ابن الحارث بن كلدة أخا بنى عبدالدار مئة بعير .. وغيرهم» [٣] .

قال ابن هشام [٤] : عن أبي سعيد الخدري قال : لما أعطى رسول الله ﷺ ماأعطى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب ولم يكن في الأنصار منها شيء (وجد) «أى حزن وغضب» هذا الحى من الأنصار في أنفسهم ، حتى كثرت منهم القالة (الكلام الردىء) .

عندئذ لم يجد الرسول بدا من أن يشرح بنفسه الموقف لهؤلاء الأنصار الذين وجدوا في أنفسهم لما لم ينالوه من الفيىء . فأتاهم الرسول بعد أن

---

(٢) نفس المرجع : ص ٤٩٢ .
(٣) السيرة النبوية ، ابن هشام ، ٢ /٤٩٣ .
(٤) نفس المرجع ، ٢ /٤٩٨—٤٩٩ .

جمعهم له سعد بن عبادة ، فقال لهم : (**يامعشر الأنصار :ما مقالة بلغتنى عنكم ؟ وجدة وجدتموها على** (أى عتاب) **في أنفسكم ألم آتكم ضلالا فهداكم الله ، وعالة** (أى فقراء) **فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟!** قالوا : بلى الله ورسوله أمنُّ وأفضل ، ثم قال **ألا تجيبونى يامعشر الأنصار** ؟ قالوا : بماذا نجيبك يارسول الله ؟ لله ولرسوله المن والفضل) [٥] .

(**فوالله الذي نفس محمد بيده ، لولا الهجرة لكنت أمرأ من الأنصار ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار . اللهم أرحم الأنصار وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار** . قال فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله قسما وحظا ، ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا) [٦] .

دروس «الغـزوة» :

ان لغزوة حنين عددا من الدروس والعبر ، لعلنا نقف منها على جانبين رئيسيين هما :

- الجانب السياسي للدعوة الاسلامية .
- الجانب العسكري للغزوة نفسها .

ويمكن ايجاز الجانب الأول في : ان جهاد الدعوة الذي حمله الرسول ﷺ على كاهله عرضه لعواصف شديدة من الكراهية والافتراء بسبب ماظهر به على قومه من دين جديد . وكان آخر العهد بمشاق الدعوة التى تحملها الرسول الكريم طرد «ثقيف» للنبي ، ثم دخوله مكة البلد الحرام في جوار مشرك .

ان هوانه على الناس منذ دعاهم لدين الله عز وجل جعله يجأر الى الله شاكيا باكيا راجيا ومحتسبا الفضل عند الله ، ولكن ذلك لم يثنه عن عزمه وعن

(٥) المرجع السابق ، نفس الموضع .

(٦) السيرة النبوية ، ابن هشام ، المرجع السابق ، ٢ /٥٠٠ .

المضي قدما في تبليغ رسالته الغراء متسلحا بقوله تعالى ﴿**فاصدع بما تؤمر . وأعرض عن المشركين**﴾ وقوله ﴿**انا كفيناك المستهزئين**﴾ ... الخ ذلك من الآيات القرآنية الكريمة .

ـــ قرر المشركون ـــ سيما اليهود في الجزيرة العربية ـــ الا يألوا جهدا في محاربة الاسلام وايذاء الداخلين فيه ، والتعرض لهم بشتى ألوان النكال والايلام ، منذ جهر الرسول بالدعوة الى الله وعالن قومه بضلال ورثوه عن آبائهم .. الحدث الذي دفع مكة للأنفجار بمشاعر الغضب ، وظلت تعد المسلمين عصاة ثائرين ، فاستباحت ـــ في الحرم الآمن ـــ دماءهم وأموالهم وأعراضهم .

وصاحب هذه السخائم المشتعلة حرب من السخرية والتحقير ، قصد بها تخذيل المسلمين وضربهم نفسيا ومعنويا حتى يرتدوا عن دينهم الجديد الذي آمنوا به وصدقوا بنبيه محمد ﷺ .

أما الجانب العسكرى .. في تلك الغزوة .. فهو يتلخص في الآتي :

ـ هزيمة المسلمين أول الأمر ، وماكان في ذلك من درس عسكري تربوي ايماني له دور كبير في ايقاظ «وعى» أتباع الرسول وحسهم الايماني بأهمية ملازمة «معية» الله تعالى لهم ، حتى يتحقق النصر لهم ، الذي لن يبلغوه باغترارهم بقوتهم وكثرة عددهم وعتادهم . حتى ان أحد الصحابة بلغ به الزهو بعدد أفراد الجيش فقال : «لن نغلب اليوم من قلة !» .

ان السهولة التي تم بها فتح مكة واحساس جمهور المؤمنين بأن الجاهلية تلفظ أنفاسها الأخيرة ، فلن تبدى مقاومة تذكر ، وظن حدثاء العهد بالاسلام أن شيئا ما لن يقف في طريق دعوته ، كل ذلك جعل الجيش يزحف ـــ الى حنين ـــ للقاء المشركين وهو غير مكترث ، وهنا حدثت الخدعة من قبل المشركين ومباغتهم المسلمين هناك ، الأمر الذي صدق فيه قول الرسول الكريم : (**الحرب خدعة .. الحرب سجال**) .. ثم ما لبث أن تدارك

المسلمون الأمر ملبين نداء الرسول وعادوا الى ساحة المعركة مرة أخرى حتى تحقق لهم النصر من جديد ، بفضل ثبات الرسول الكريم في المعركة .

- نظرة الرسول الثاقبة في رأب الصدع بين الأنصار وحدثاء العهد بالاسلام (المؤلفة قلوبهم) الذين قسم الرسول عليهم الفيء وأجزل لهم العطاء رجاء أن يتعرفوا — عن كثب — مزايا هذا الدين الجديد الذين دخلوا فيه أفواجا وجماعات ، وأن يقفوا على «نماذج» عملية من مواقفه تجاههم بالذات . حتى أن عم الاسلام أرجاء الجزيرة العربية كلها ، ثم انطلق منها منتشرا في كافة البلدان الأخرى المجاورة .

* * *

القســم الثانـى

الاستشراق والمستشرقون

الفصل الخامس

الاستشراق : حقيقته وأهدافه

* مدخل
* الاستشراق وحقيقته

أهداف الاستشراق الدينية (التعصبية)

الاستشراق : حقيقته وأهدافه

مدخـــــل :

ان الاستشراق حقيقة واقعة ، وقد شمل كثيرا من جوانب تراثنا وثقافتنا وفكرنا العربي والاسلامي عامة ، حيث تغص مكتباتنا بأبحاث ودراسات عديدة للمستشرقين في سائر فروع العلم والمعرفة ، ترجم معظمها للغتنا العربية ومايزال .

«وقد اتخذ الاستشراق أشكالا متنوعة في أواخر القرن التاسع عشر ، اذ نقل من تقييم اجتماعي ضمنى الى تقييم ثقافي مفخم ، خصوصا حين كان الاسلام موضوع المناقشة . ولابد أن يكون مفهوما بديهيا لكل قارىء أن هؤلاء المستشرقين وغيرهم من كتاب الغرب عامة انما ينظرون الى الاسلام ويتحدثون عنه يكتبون من واقع عوامل خاصة تتغلغل فيهم» (١) لا من واقعنا نحن . «فالروح العدائية للاسلام والمسلمين متمكنة في نفوسهم وقد رضعوها منذ طفولتهم ثم نمت في كبرهم ، فأصبحت تلون مايكتبون» (٢) .

لذلك يخطىء بعض كتابنا وهم في معرض حديثهم عن الاسلام وبيان عظمته وحاجة البشر اليه ــ شرعه ومنهاجا ــ حيث يلجأوون لأقوال هؤلاء وكتاباتهم فيرددونها ويستشهدون بها لتعضيد كلامهم عن الاسلام ونبيه ﷺ ، دونما التفات منهم لما يعترى تلك الكتابات الاستشراقية الشاذة من خطل وخطأ كبير (٣) .

---

(١) الاستشراق : المعرفة . السلطة . الانشاء ، لادوارد سعيد ، ط ٢ ، القاهرة ، ص ٢١٩ .

(٢) الثقافة الاسلامية بين الغزو والاستغزاء ، للدكتور عبدالمنعم النمر ، ص ١٧٨ .

(٣) سبقت الاشارة الى تحفظنا على هذا المسلك الذي سلكه بعض كتابنا في مؤلفاتهم وكتاباتهم ــ ببعض تلك الدراسات الاستشراقية الخاطئة والمغرضة في قصدها وهدفها اما من النيل من شخص الرسول (محمد) ﷺ ، واما في رغبتها تشويه الاسلام ونظامه ككل . ــ راجع : للمزيد والتفصيل الفصل الأول من الكتاب ، ص ومابعدها .

ذلك أن الانحراف العلمي في هذه الدراسات الاستشراقية التى أجريت حول الاسلام غلب على أكثرها ، وهو مايجعلنا ــ نحن المسلمين ــ نقف منها موقف الحذر والتحفظ الشديد ولسان حالنا يقول : كتب من .. وأقوال من .. ومراجع من تلك التي يرى البعض الاحتجاج بها والاستشاهد ؟!

كما يحتم علينا ــ في الوقت نفسه ــ الكشف عما فيها من زيف وخداع وأخطاء وافتراءات .. فالكثير من النظريات والآراء التي يقول بها هؤلاء المستشرقين عن الاسلام مبنية على افتراضات لا أساس لها البتة .

فالاستشراق ــ كما يؤكد جمهرة الباحثين ــ لعب دورا تضليليا تاريخيا ضخما في حياة المسلمين وتاريخهم وثقافتهم ودينهم اذ «تغلغلت الكتابات الاستشراقية المتعددة الجوانب في حياة الأمة خلال قرن كامل [٤] ، بحيث نفذت الى كل جزئية من جزئياتها ، فلا يدرك خطرها الا العالم الخبير الموازن بين حقائق الاسلام وأوضاعه الحضارية وبين مزاعم المستشرقين ودراستهم لها» [٥] .

وهكذا ، فمن أجل فهم سليم للنسب الفكرى للاستشراق الاسلامي فيما بين الحربين (العالميتين) .. ينبغي أن نكون قادرين على فهم الفرق بين الموقف الخلاصي للمستشرق تجاه مادته التي يدرسها ــ وهي الاسلام ــ وبين هذا النمط من المواقف الذي يحمل شبها ثقافيا قويا به .

«فقد عبر المستشرق الاسلامي عن أفكاره المتعلقة بالاسلام بطريقة

---

(٤) يؤرخ لبدء وجود الاستشراق الرسمي في الغرب المسيحي بصدور قرار مجمع فينا الكنسي عام ١٣١٢ م بتأسيس عدد من كراسي الأستاذية في «العربية» واليونانية والعبرية والسريانية في جامعات باريس وأكسفورد وبولونيا وأفينون وسلامانكا .. غير أن أى مسرد للاستشراق ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار لا المستشرق المحترف فحسب ، بل كذلك المفهوم ذاته لوجود ميدان من ميادين الدراسة قائم على وحدة جغرافية وثقافية ولغوية وعرقية اسمها الشرق (ادوارد سعيد ، المرجع السابق) ص ٨٠ .

(٥) أزمة المثقفين تجاه الاسلام ، للدكتور محسن عبدالحميد ، ص ١٣١ .

تؤكد مقاومته هو ومقاومة المسلم المزعومة أيضا للتغيير وللفهم المتبادل بين الشرق والغرب .. بحيث أن المرء يفهم من قراءته للمستشرقين أن الرؤيا المرعبة التي ينبغي أن ترهب لم تكن دمار الحضارة الغربية بل بالأحرى دمار الحواجز التى أبقت الشرق والغرب على انفصال) (٦) .

وبناء على ماتقدم فاننا سنتناول في هذا القسم الثاني من الكتاب بيان : حقيقة الاستشراق وأهدافه ، هجوم المستشرقين على القرآن الكريم ، ودحض هذا الهجوم على كتاب الله عز وجل ، ثم ننتقل بعد ذلك لاستعراض «نماذج» من كتابات المستشرقين التى استهدفت الانتقاص من النبي محمد والنيل منه ، ثم نتناولها بالرد والتفنيد على النحو التالى :

الاستشراق وحقيقته :

مايعنينا هنا هو المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق الذي يعني تلك «الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الاسلامي في لغاته الغربية وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام» (٧)

وهذا المعنى هو الذي ينصرف اليه الذهن في عالمنا الاسلامي عندما يطلق لفظ استشراق أو مستشرق ، وهو الشائع أيضا في كتابات المستشرقين المعنيين .

فالمستشرق ــ اذن ــ هو عالم غربي يهتم بالدراسات الشرقية ولابد أن يتوافر فيه الشروط الواجب توافرها في العالم : كالتخلص والتعمق في هذا النوع من الدراسات الشرقية (الاستشراقية) سواء كانت تاريخية أو فلسفية أو اقتصادية او اجتماعية او آثار مما يرتبط بالشرق الاسلامي ومجتمعاته .

وقد شهدت العصور الوسطى لونا آخر من الاستشراق كان من نتاج

---

(٦) ادوارد سعيد ، الاستشراق ، المرجع السابق ، ص ٢٦٦ .

(٧) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، للدكتور محمود حمدي زقزوق ، «كتاب الأمة» ، ص ١٨ .

التعصب الديني الذي كان سمة بارزة لتلك العصور ، حيث أقبل بعض الأوربيين على الاستشراق بهدف الكيد للاسلام والعروبة . كنتيجة لهذا التعصب ضد المسلمين .

يقول كرد على هذا العداء بين الغربيين والشرقيين «ان الاسلام جاء لهداية البشر وأتى على الوثنية في البلاد التى انتشر بسلطانه اليها ، فخافت أوروبا النصرانية من تسربه الى ربوعها فاتفقت كلمة الملوك ورجال الدين على حربه حتى وقفت دعوته عند جزيرتي الأندلس وصقلية» (٨) .

«فلم يكن المستشرقون ولا المبشرون يوما ما ينصفون الحقيقة العلمية للعلم ، بل كانت أبحاثهم كلها موسومة بصورة واضحة من أسس عقائدهم ومقاصدهم الخبيثة» (٩)و(١٠) .

وفي كتاب الدكتور ابراهيم اللبان عن المستشرقين اشارة سريعة الى اعتراف بعض المستشرقين الآخرين أمثال : هاملتون جب ، برنارد لويس ،

---

(٨) المستشرقون والتاريخ الاسلامي ، للدكتور علي حسن الخربوطلي ط ٢ ص ٣٢ .

(٩) الاستشراق والتبشير وصلتهما بالامبريالية العالمية ، تأليف ابراهيم خليل أحمد ، ص ١٥٨ .

(١٠) رغم التقرير الواضح لحقيقة موقف المستشرقين من الاسلام الا أن الدكتور الخربوطلي يقول : «ولم يصدر المفكرون العرب حكما نهائيا على نوايا المستشرقين ، ولم يقيموا جهودهم وأبحاثهم تقيما محددا» !! ونحن نرى : ان هذا القول فيه تناقض الى حد كبير ، فمعظم الدراسات التي بين أيدينا ــ بما فيها . الخربوطلي نفسه ــ يكشف أصحابها عن حقيقة الاستشراق والمستشرقين ومواقفهم تجاه الاسلام من واقع كتاباتهم عنه وآرائهم فيه . ومن ذلك ماقرره الأستاذ / أحمد محمد جمال «كانت دراسة المستشرقين للاسلام تاريخا وتشريعا غير مخلصة ولا نزيهة ولا علمية موضوعية ، وانما كانت رغبة في التشفي والانتقام من الاسلام وكتابه ورسوله «.. كتابه مفتريات على الاسلام» ط ٣ ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٤٠٥ هـ ــ ١٩٧٥ م ، ص ١١ ونؤكد على ذلك أيضا الدكتورة عفاف صبرة الأستاذ بكلية الدراسات الانسانية بجامعة الأزهر ، حيث تقول : «والعجيب أن هؤلاء المبشرين حينما يكتبون عن الاسلام لا يكتبون من واقع المصادر التاريخية الأصيلة القديمة ، وانما يتركونها في مكتبات علماء الدين وورثة اللاهوتيين من أبناء القرون الوسطى ، ويخرجون انتاجا لا يعتمد على أصول صحيحة فيكون مملؤا بالأباطيل والأغاليط فيسمم عقول الدارسين من المبتدئين فيتخرجون مؤمنين بصدق دعوات التبشير وصواب الحملة على الاسلام كما فهموه «المستشرقون ومشكلات الحضارة ، ص ٤٧» .

نورمان دانيل ومنتجمرى وات بآثار التعصب الديني وبالدراسة السطحية والمحاولات التقليدية التى كانت تسود دراسات السابقين منهم .

ومن بواعث الاستشراق — كما يقول الأستاذ أحمد محمد جمال — «ان المتجهين اليه من الأوربيين يعدون أنفسهم لخدمة بلادهم في العالم العربي وآسيا وافريقيا ، توجيه السياسة الخارجية والداخلية فيها .. وبعبارة وجيزة : استشراق في خدمة الاستعمار»[١١]. ومثله الاستشراق من أجل التبشير بالدين المسيحي ، وهؤلاء المستشرقون يسميهم الأستاذ العقاد «خصوما محترفين» .. لأن جماعة المبشرين اتخذت القدح في الاسلام صناعة يتفرغون لها ويعيشون منها ، ولا غنى لأصحاب هذه الحرفة عن اختلاف المآخذ وتصيد التهم .

ويؤكد ذلك ماقاله «بارت» «ان الجهود التي بذلت لانصاف الشرق (الاسلام)» ورسم صورة له مستمدة من المصادر التي تعرضت من حين لآخر لاتجاهات اعترضت سبيلها وغطت عليها وأدت الى تشويه صورته . وكان من بين ممثلى «حركة التنوير» من رأوا في النبي العربي أداة له ومشروعا حكيما ورسولا للفضيلة وناطقا بكلمة «الدين الطبيعي» الفطرى ، مبشرا به . وصحب هذا الاتجاه تحمس رومانتيكي لكل ماهو شرقي» [١٢] .

وجاء من بعدهم — كما سنبين — المستشرقين غير المبشرين فسلكوا مسلكهم وحذوا حذوهم ، ولم يسلكوا مسلك البحث العلمي النزيه المجرد ، بل كانوا يضعون الاتهام أولا ، ثم يبحثون عن الأدلة التى تقوى هذا الاتهام ، باستثناء قلة قليلة منهم .

---

(١١) مفتريات على الاسلام ، المرجع السابق ، ص ١١ .

(١٢) الدراسات العربية والاسلامية في الجامعات الألمانية للمستشرق الألماني «بارت» نقلا عن د . الخربوطلي ، المرجع السابق ، ص : ٤١ .

فالذين كتبوا في موضوع الاستشراق من الغرب هم فئة درست الاسلام دراسة كان هدفها النيل من المسلمين والحضارة الاسلامية والقدح فيها عيانا بيانا ، من أمثال جولد زيهر ومرجليوث (الذي تأثر به د . طه حسين) وشاخت وغيوم وغيرهم ممن عرفوا بعدائهم وتحاملهم على الاسْلام والمسلمين . (١٣) .

كما أنه من الصعب عليهم أيضا أن ينسوا أن الدين الاسلامي قد قضى على النصرانية في كثير من بلاد الشرق وحل محلها» (١٤) .

ولم تبذل ــ للأسف الشديد ــ محاولة من جانب هؤلاء المستشرقين لفهم الاسلام ، أو دراسة حياة رسوله ﷺ ، دراسة موضوعية واعية ، بل كثيرا مانكون أمام مؤلفين متعصبين مثل (رايموند) أسقف توليد والذي ترجم بعض المؤلفات العربية ، وكذلك (بيتر) المعروف باسم :

الذي حمل على الاسلام ولام المسيحيين على مهادنتهم له . «ورأى أن تكون نقطة بداية حربه على الاسلام هي شن الحرب على القرآن الكريم !!» (١٥) .

لم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل توالى المستشرقون القادحون في الاسلام ونبيه وأهله عبر القرون . ابتداءا من القرن الثاني عشر وحتى الآن .

وكان على رأس هذه الطغمة الفاسدة التي دأبت على التطرف والمغالاة والاصرار على اثارة العداوة والبغضاء بين الاسلام والمسيحية الراهب اليسوعي لامانس Lasanofa Lamanas وكازانوفا .

أهداف الاستشراق الدينية (التعصبية) :

يتبين لنا مما سبق أن أهداف الاستشراق الدينية كانت تسير منذ البداية في اتجاهات ثلاث متوازية هي :

أولا : محاربة الاسلام والبحث عن نقاط ضعف فيه وابرازها والزعم بأنه دين

(١٣) في هذا المعنى : الاستشراق والمستشرقون .. وجهة نظر ، للدكتور عدنان وزان (دعوة الحق) ص : ٩٢ .

(١٤) الدكتور محمود حمدى زقزوق ، المرجع السابق ، ص : ٧٢ .

(١٥) الدكتور علي حسني الخربوطلي ، المرجع السابق ، ص : ٥٧ .

مأخوذ من النصرانية واليهودية والانتقاص من قيمه والحط من قدر نبيه ﷺ . وليس أدل على هذه الحقيقة من اعتراف «ادوارد سعيد» نفسه في كتابه القيم (الاستشراق) حيث يقول : «ولقد هاجم مؤرخون ثقافيون محترمون مثل ليوبولد فون رانكه ، وجاكوب ، بيركهاردت ، الاسلام بعنف كأنهم كانوا يتعاملون لا مع تجربة من التشبيه التجسيمي ، بل مع ثقافة سياسية / دينية يمكن اصدار تعميمات عميقة حولها واعتبارها مسوغة» (١٦) .

ثانيا : حماية النصارى مما يعتقدونه من خطر يتهددهم بسببه ـ الاسلام ـ وحجب حقائقه عنهم واطلاعهم على مازعموه من نقائص فيه وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين الجديد .

ثالثا : «رغبتهم في التبشير وتنصير المسلمين ، فمعظم المستشرقين النصارى متدينون يدرسون دينا ينكر عقائد أساسية في ملتهم ويهاجمها ويفندها ، مثل عقيدة التثليث وعقيدة الصلب والفداء ،

صفوة القول : انه لا يكاد مجال من مجالات الاسلام ومبادئه سلم من التشويه المتعمد من قبل هؤلاء المستشرقين المتعصبين ومن تبعهم من تلامذته الجاهلين الذين تأثروا بهم ورددوا أقوالهم . وأول مصادر الاسلام التى نال هجومهم وافتراءاتهم : القرآن الكريم ، والرسول محمد ﷺ ، والسنة النبوية الشريفة (١٧)، بل التشريع الاسلامي بأكمله . وهو مانعرض منه في الفصلين التاليين .

---

(١٦) الاستشراق ، ادوارد سعيد ، المرجع السابق ، ص : ٢١٩ .

(١٧) للمزيد والتفصيل حول موقف المستشرقين من السنة النبوية الشريفة ينظر كتاب المؤلف بعنوان : «دفاع عن السنة النبوية وحجيتها» (لم ينشر بعد) .

الفصل السادس

المستشرقون .. والقرآن الكريم

* بداية الحملة على القرآن
* ثم مـــاذا ؟
* أخطاؤهم في نسب القرآن .
* ادعاؤهم بنحل القرآن من الكتب السماوية .

المستشرقون ... والقرآن الكريم

اتجهت جهود المناهضين للاسلام قديما وحديثا الى محاولة زعزعة الاعتقاد في صحة القرآن وفي مصدره ، وقد حذا المستشرقون المتحاملون على الاسلام في موقفهم من القرآن حذو مشركي مكة وبذلوا محاولات مستميتة لبيان أن القرآن ليس وحيا من عند الله ، وانما هو من «تأليف محمد» ورددوا نفس الاعتراضات التي قال بها الوثنيون قديما ، رغم دحض القرآن والباحثين المنصفين تلك الادعاءات والترهات الباطلة .

ولم يسلم القرآن الكريم من الحملات الضارية التي شنها عليه غلاة المستشرقين فقالوا عنه انه غير منظم ولا مبوب ، وانه محتذى (أى مقلد) ومنقول ، وانه زيف غير بليغ ولا فصيح وبه أغلاط نحوية وركاكات بيانية .. الخ .. ذلك من الأقاويل والأباطيل التي يعجب لها المرء .

بداية الحملة على القرآن :

لقد شن المبشرون والمستشرقون وغيرهم من أعداء الاسلام حملة شديدة على القرآن الكريم ، وكان أول همهم أن يبحثوا لأوروبا عن سلاح غير أسلحة القتال لتخوض المعركة ضد هذا الكتاب الذي سيطر على الأمم المختلفة الأجناس والألوان والألسنة وجعلها أمة واحدة ، تعد العربية لسانها ، وتعد تاريخ العرب تاريخها .

يحدد المستشرق (رودى بارت) بداية هذا النوع من الاستشراق بسنة ١٤٣ م ، «حين تمت ترجمة القرآن لأول مرة الى اللغة اللاتينية بتوجيه من الأب (بيتروس فينيرا بيليس) رئيس دير كلوني . ويرى (بارت) أن الهدف من هذا

النوع من الاستشراق هو التبشير وإقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الاسلام واجتذابهم الى الدين المسيحي» [١] .

ولقد لخص (وليم غيفورد بلغراف) الانجليزي الذي يسمى (الحرباء) عداء الغربيين للقرآن في كلمته المشهورة «متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة لم يبعده عنها الا محمد وكتابه» [٢] . ويقول أحد المبشرين ــ وهو (جون تاكلي) : يجب أن نستخدم كتابهم (أى القرآن) وهو أمضى سلاح في الاسلام ضد الاسلام نفسه ، لنقضي عليه تماما ، يجب أن نُرى هؤلاء الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديداً وأن الجديد فيه ليس صحيحا .

وأثناء الحروب الصليبية كانت الافتراءات على الاسلام سلاحا من أسلحة الدعاية ضد المسلمين ، وترجم القرآن ترجمة ناقصة شديدة التحريف ، لأن المترجم لم يستطع فهم النص القرآني ، وظلت صعوبة اللغة العربية حائلا دون فهم الاسلام وتقدير الاعجاز القرآني حتى ان الكاتب الانجليزي توماس كارلايل (١٧٩٥ ــ ١٨٨١) [٣] .

يقول في كتابه (الأبطال في التاريخ) [٤] عن القرآن الكريم «انه كلام ركيك ثقيل على النفس لولا مايحتمه الواجب العلمي على الدارس الاوروبي مااستطاع صبرا على قراءته» [٥] .

---

(١) المستشرقون والتاريخ الاسلامي ، للدكتور الخربوطلي ، ص : ٣٢ .

(٢) نحات في الثقافة الاسلامية تأليف : عمر عودة الخطيب ، ط /بيروت ص : ١٧٥ .

(٣) Tomas Karlayal

(٤) Heros in History

مع انه يعتبر في نظر الكثيرين مسالما للاسلام ، فقد مدح النبي محمد خلال محاضرته «البطل نبيا» حيث قال : «أنا فعلا أقيمه ــ أى النبي ــ .. ان الأكاذيب التي كان الحماس حسن النية قد كونها حول هذا الرجل أصبحت مخزية بالنسبة لنا فحسب .. فالكلمة التي نطق بها هذا الرجل أصبحت الآن دليل حياة لملايين ملايين من البشر ولاربعة عشر قرنا من الزمان ويزيد . انظر في هذا المعنى : المتغير الغربي : الشرق .. الاستشراق .. تأليف محمد عبدالحسين الدعمي ــ بغداد ــ ص : ٣٠ .

(٥) الاسلام والمستشرقون ، للدكتور عبدالجليل شلبي ، ص : ٢٨ ، مرجع سبق ذكره .

ويقول أيضا عن النبي محمد «أنه مؤلف لكتاب القرآن ، وهو ــ أى القرآن ــ خليط مهلهل مشوش ممل ، خام مستغلق (صعب الفهم) تكرار لا نهاية له ، واسهاب واطناب ، ومعاظلة (اعجاز بالغ) ، خام الى أقصى الدرجات . وبايجاز غباء فارغ لا يطاق» [٦] .

ولأن كارلايل نفسه ليس مثالا أعلى للسلاسة والأناقة الأسلوبية فإنه يؤكد هذه الأمور كوسيلة لانقاذ محمد من المستويات البنتامية التي كانت ستدين محمدا وكارلايل معا ، على حد قول ادوارد سعيد هذا ونفس القول يكرره المستشرق الألماني نولدكه Noldkah حيث يقول : وانا ليضايقنا ويقزز نفوسنا ذلك الخيال السقيم والعوز في المنطق والفقر المدقع في الأفكار والاضطراب وعدم الاتساق الذي نراه في القرآن . وقد نفى نولدكه في كتابه (تاريخ القرآن) أن تكون فواتح السور من القرآن مدعيا أنها رموز لمجموعة الصحف التى كانت عند المسلمين الأولين قبل ان يوجد المصحف العثماني [٧] .

فمثلا .. حرف الميم كان رمزاً لصحف المغيرة ، والهاء لصحف أبي هريرة ، الصاد لصحف سعد بن أبي وقاص ، والنون لصحف عثمان ، فهي ــ عنده ــ اشارات لملكية الصحف ، وقد تركت في مواضعها سهوا ، ثم ألحقها طول الزمن بالقرآن فصارت قرآنا . (!!) .

وهذا القول الفاضح لجهل صاحبه ، قريب الشبه بمقولة «دارون» عن أصل الأنواع ومالدعى فيها من فرية النشؤ والارتقاء عن أصل الانسان والتى زعم فيها ــ هو الآخر ــ ان الانسان أصله ينتمي الى فصيلة القردة وطبقا لقانون التحور والانتخاب الطبيعي ، وبعد ضمور فقرات زيله الكائنة في مؤخرة عموده

---

(٦) ادوارد سعيد ، الاستشراق .. ، المرجع السابق ، ص : ١٦٩ .

(٧) القرآن والمستشرقون ، بحث معمق للدكتور التهامي نقرة ، مطبوعات مكتب التربية العربي لدول الخليج ، مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، كتاب «مناهج المستشرقين في الدراسات العربية». ، الرياض ، ٤٠٥ هـ ، ج ١ ، ص : ٢٣ ومابعدها .

الفقرى ، تحول بفعل «نظريته المزعومة» الى «انسان» بعد ذلك !

وشبيه بهذا القول مايلصقه ــ جهلا وكذبا ــ «نولدكه» بآيات الله العزيز وكلماته الكريمة فيصفها بأنها «تركت مواضعها سهوا ، ثم ألحقها طول الزمن بالقرآن فصارت قرآنا» !!

ثم مـــاذا ؟!

أكثر من هذا مازعمه كل من «جوستاف فايل» [٨] ، و «كازانوفا» و «جولدزيهر» و «جورج سيل» ، و «ريتشارد بل» و ج . ايراك .. اذ قال أولهم في كتابه (مدخل تاريخي نقدى الى القرآن) «ان القرآن الذي نقلوه ليس بعينه القرآن الذي تلاه محمد على المسلمين أثناء حياته ، بل انه حرف وبدل بعد وفاته وخاصة في الصدر الأول للاسلام» .

وقال ثانيهم في كتابه (محمد ونهاية العالم) : «اني أؤكد أن مذهب محمد الحقيقي ان لم يكن قد زيف ، فهو ــ على الأقل ــ ستر بأكبر العنايات . وأن الأسباب البسيطة التى سأشرحها فيما بعد هي التي حملت أبابكر أولا ، ثم عثمان من بعده على أن يمد أيديهما الى «النص المقدس» بالتغيير ، وهذا التغيير قد حدث بمهارة بلغت حدا جعل الحصول على القرآن الأصلي يشبه أن يكون مستحيلا» [٩] .

أما ثالثهم فهو يعد من أشهر علماء الغرب في الاستشراق ، وله كتاب بعنوان «العقيدة والشريعة في الاسلام» وقد ترجمه الدكتور محمد يوسف موسى وآخرين . يقوم في جملته على أربعة مزاعم خطيرة هي : «أن القرآن من صنع

---

(٨) وهو من أصل يهودي ، نال تربية تلمودية ، ثم درس بالجامعات الألمانية وعرف المنهج التاريخي ، عاش في الفترة من (١٨٠٨ ١٨٨٩م) .

(٩) عبدالخالق أبورابية ، المرجع السابق ، ص ٥٩ .

محمد (!!) ، وأن الحديث النبوي من صناعة الصحابة والتابعين وأئمة المذاهب الفقهية ، أن التشريع الاسلامي مستمد من القانون الروماني ، وأن الجيوش الاسلامية التي حملت الحق والخير والعدالة الى الدنيا لم يكن باعثها الايمان ، وانما الذي اخرجها من الجزيرة العربية القحط والجوع» (١٠) .

بعد هذا السلب والتجريد للاسلام من عنوانه وموضوعه وخصائصه وميزاته .. كيف يزعم هؤلاء المترجمون (المسلمون) — في مقدمة الترجمة — أن هذا الكتاب لجولدزيهر هو «أنضج ماكتب ؟ وانه تراث قيم وكبير ؟!

وله كتاب آخر بعنوان «تاريخ الجنس البشرى» ادعى فيه «أن محمدا كان تلميذا لليهود» (١١) وشاركه الرأى في ذلك «جورج سيل» صاحب كتاب «ترجمة معاني القرآن» والذي أصدره عام ١٧٣٦ م وقال في مقدمته «ان محمدا كان في الحقيقة مؤلف القرآن والمخترع الرئيسي له (!!) . فأمر لا يقبل الجدل وان كان من المرجح مع ذلك أن المعاونة التى حصل عليها من غيره في خطته هذه لم تكن معاونة يسيره . وهذا واضح في أن مواطنيه لم يتركوا الاعتراض عليه بذلك ..» (١٢) .

واذا كان جورج سيل قد بت في مصدر القرآن على النحو السابق فجعل الرسول مؤلفه دون مواربة ، فان الأستاذ «ريتشارد بل» مؤلف كتاب «مقدمة القرآن قد سد النقص الذي تركه «سيل» في تلك الأكذوبة ، فاستظهر أن الرسول (محمد) قد استمد من الكتاب المقدس كثيرا مما جاء في القرآن وبخاصة القصص . فهو يقول : « ... فبعض قصص العقاب

---

(١٠) مفتريات على الاسلام ، أحمد محمد جمال ، مرجع سبق ذكره ، ص : ١٢٢ .
(١١) المستشرقون ومشكلات الحضارة ، للدكتورة عفاف صبره ، مرجع سابق ، ص : ٦٣ ومابعدها .
(١٢) د . عفاف صبره ، نفس المرجع .

كقصص عاد وثمود استعملها محمد ليفسر تعاليمه ويدعمها ، وقد استمدها من مصادر يهودية ومسيحية (!!) وانه حصل على أوسع فرصة للاستمداد من الكتاب المقدس حينما هاجر الى المدينة ، وفيها كان محمد بالنسبة لمعرفة مافي كتاب العهد القديم في وضع أفضل من وضعه السابق في مكة ، فقد كان على اتصال بالجاليات اليهودية التى كانت دون شك تضم ربانيين ومثقفين ، وهناك دلائل على انه انتفع بهذه الفرصة فحصل على قسط غير قليل من المعرفة بكتب موسى على الأقل» [١٣] !!

أيضا ج . ايراك ، يقول في كتابه «محاضرات الشرق الأدنى في العصور الوسطى» «واتفق لمحمد في أثناء رحلاته أن يتعرف شيئا قليلا من عقائد اليهود والنصارى» . وعن القرآن قال : «والقرآن مجموع ملاحظات كان تلاميذه يدونونها بينما هو يتكلم ، وقد أمر محمد أتباعه أن يحملوا العالم على الاسلام بالسيف اذا اقتضت الضرورة» .

أخطاؤهم في نسب القرآن :

ولاصرارهم على أن القرآن من كلام محمد فقد حرصوا على تسمية الاسلام (بالديانة المحمدية) Mohamadian Religious قياسا على المسيحية اليسوعية التي نسبت الى رسولها عيسى عليه السلام .. هكذا يقول المستشرق الفرنسي «كيمون» في كتابه (باثولوجيا الاسلام» .. «ان الديانة المحمدية جذام تفشي بين الناس ، وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعا ، بل هي مرض مريع وشلل عام ، وجنون ذهولي يبعث الانسان على الخمول والكسل ولا يوقظه منهما   الدماء ويدمن على معاقرة الخمور ، ويجمح في القبائل وماقبر محمد الا عمود كهربائي يبعث الجنون في رؤوس المسلمين

(١٣) الدكتورة عفاف صبره ، المرجع السابق ، ص : ٦٥ .

ويلجئهم الى الاتيان بمظاهر الصرع العامة والذهول العقلي وتكرار لفظ «الله» الى مالا نهاية ، والتعود على عادات تنقلب الى طباع أصيلة .. ككراهية لحم الخنزير والنبيذ والموسيقى وترتيب مايستنبط من أفكار القسوة والفجور في اللذات» (١٤) .

ويعترف (دريول) في كتابه «المسألة الشرقية» بالعقدة الدينية في نظرة الغربيين الى الاسلام والمسلمين فيقول «ان الغربيين تربوا على عاطفة أن النصرانية أرقى من الاسلام بكثير ، وأن رسالتها أن تهدي الى دين المسيح» .

«وقد بلغ من حقدهم وعداوتهم للاسلام أن كنيسة روما في سنة ١٥٣٠ قد أحرقت في مدينة البندقية نسخة من القرآن الكريم ، وحرم البابا اسكندر طبعه أو طبع ترجمته» (١٥) .

ويرى الدكتور اللبان : «أن السبب الأول لحقد المستشرقين على القرآن واصرارهم على أنه من كلام محمد وليس من عند الله هو أن القرآن اتهم اتباع التوراة والانجيل بتحريفهما (١٦) ولذلك زعموا بأن محمدا استمد معارفه في تأليف القرآن من هذين الكتابين قصصا وأخبارا وأحكاما ، كما أن القرآن ــ من ناحية أخرى ــ ينكر الأسس الثلاثة التي تقوم عليها مسيحتهم ، وهي : التثليث والصليب والفداء»(١٧) .

---

(١٤) الحضارة الاسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ، رسالة دكتوراه للدكتور : توفيق يوسف الواعي ، ط / القاهرة ، ١٩٨٨ ص ٧٠٧ .

(١٥) الاستشراق والتبشير ، ابراهيم خليل أحمد ، مرجع سابق ، ص : ١٦٨ .

(١٦) نرى : أن هذا ليس اتهاما ما من جانب القرآن الكريم لأهل الكتاب ، ولكنه كشف لتزييفهم للكتب المقدسة كالتوراة والانجيل وتحريفهم لما فيها من عبارات ونصوص صريحة تدعو الى الوحدانية وتنزيه الله تعالى وصفاته ، وتقولهم على الله مالم يقله في كتبه ولم يأمر به أنبيائه ورسوله ، كما قال تعالى في سورة المائدة الآية /١٥ **﴿ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾** «المؤلف» .

(١٧) أحمد محمد جمال ، المرجع السابق ، ص : ١٢ .

وهذا مادفع جانبا من المستشرقين لتبرير ترجماتهم للقرآن الكريم أن يمهدوا لأعمالهم بمقدمات وتذييلات لتنفيذ وتكذيب القرآن ودحضه بهدف الحيلولة دون بلوغ تأثيره في قارئيه أو دراسيه المؤمنين به ككتاب مقدس من عند الله عز وجل ، وذلك اثباتا منهم لحسن ايمانهم بالكنيسة ودفعا للشبه أمام أهل ملتهم وعقيدتهم النصرانية .

ادعاؤهم بنحل القرآن من الكتب السماوية :

يذهب المستشرق «لوت» الى أن النبي ــ ﷺ ــ مدين بفكرة فواتح السور من مثل : حم ، طسم ، والم .. الخ .... لتأثير أجنبي ، «ويرجح أنه تأثير يهودي ، ظنا منه أن السور التي بدئت بهذه الفواتح مدنية خضع فيها النبي ﷺ لتأثير اليهود» [1] .

أما غوستاف لوبون فيري في كتابه (حضارة العرب) أن القرآن الكريم من شواهد عبقرية محمد ﷺ ، وهو من انشائه ولكنه يجعله دون كتب الهندوس قمة (!!) .. فيقول : «ليس في عامية القرآن ولاهويته التى هي من صفات الأديان السماوية مايقاس بنظريات الهندوس . ثم ينكر شمولية القرآن الكريم ، ويرى أنه مؤقت بعصره ، لا يحقق حاجات الفرد في عصور لاحقة ، بل يجعله سبب تخلف المسلمين !» [2] .

وبلاشير ــ بالرغم مما يقال عنه من اعتداله في أحكامه ــ يتحدث في كتابه «معضلة محمد» عن مصدر القصص القرآني ذاكرا أنه مما لفت انتباه المستشرقين هو التشابه الحاصل بين هذا القصص وبين القصص

---

(١) الاستشراق .. للدكتور محمود زقزوق ، مرجع سابق ، ص : ٨٤ .

(٢) القرآن والمستشرقون ، للدكتور التهامي نقرة ، بحث منشور في كتاب «مناهج المستشرقين» ج ١ ، مرجع سابق ، ص : ٣٠ ــ ٣١ .

اليهودي والمسيحي .. وقد كان التأثير المسيحي واضحا في السور المكية الأولى ، اذ كثيرا ماتكشف المقارنة بالنصوص الرسمية ـــ كانجيل الطفولة الذي كان سائدا في ذلك العهد عن شبه قوى» [٣] .

المضحك أن بعض المستشرقين المعاصرين يقفون عند نصوص معينة من القرآن الكريم يتخذون من فهمهم الخاطىء لها دليلا على أن محمدا استقى تعاليمه من الكتابيين ، فقد ذكر المستشرق الانجليزي «الفريد جيوم» والمستشرق الأمريكي «فردريك بلس» أن الآية التي تقول : ﴿**ياأخت هارون ماكان أبوك امرأ سؤ وماكانت أمك بغيا**﴾ [٤] . قد اختلطت على رسول الله ﷺ .. ويقول «جيوم» : أن محمدا كان دارسا مبتدئا للكتاب المقدس ، فظن أن مريم أم عيسى عليه السلام هي مريم أخت هارون مع أن بين عيسى وهارون زمنا طويلا ..» [٥] . والشيىء نفسه عند «بلى» حيث يذكر انه : كيف تكون مريم أخت موسى هي التي عاشت قبل المسيح بألف وأاربعمائة عام هي أم المسيح ؟!

«كان أسلوب النبي في القرآن أول عهده بالدعوة مفعما بالعواطف ، قصير العبارات ، فخم الصورة ، يقدم أوصاف العقاب والثواب فى أوصاف صارخة ، وكثيرا مايكرر الآيات مملا حتى تنقلب معانيها الى الضد . فلما تقدم الزمن بالنبي فقد الأسلوب منهجه الأول !!» [٦] .

وان المستشرق كليمارهوار : Klimar Hawar زعم أنه اكتشف مصدرا جديدا للقرآن هو شعر أمية بن أبي الصلت .. وأن استعانة النبي به في نظم القرآن

---

(٣) القرآن والمستشرقون ، للدكتور التهامي نقرة ، بحث منشور في كتاب «مناهج المستشرقين» ج ١ ، مرجع سابق ، ص : ٣٠ ـــ ٣١ .

(٤) سورة مريم : الآية /٢٨ .

(٥) المستشرقون ومشكلات الحضارة ، للدكتورة عفاف صبرة ، ص ٦٩ .

(٦) الدكتور التهامي نقرة ، البحث السابق ، ص : ٣٢ .

حملت المسلمين على مقاومته ومحوه (أى الشعر) ليستأثر القرآن بالجدة ، وليصبح أن النبي قد انفرد بتلقي الوحي من السماء !

في ذات المنحى الخطأ يقول المستشرق الفرنسي «اميل درمنغم» .. في كتابه عن (حياة محمد) « .. كان محمد يتحدى الانس والجن بأن يأتوا بمثله ـــ أى القرآن ـــ وكان هذا التحدى أقوى دليل على صدق رسالته ، وهذا لا يعني الاشارة الى قيمة أدبية خاصة في القرآن ، مادام محمد كارها للشعراء ، محترزا من أن يكون أحدهم .» (٧) .

تلك كانت جملة من أقوال المستشرقين الخاطئة في القرآن الكريم ، وفهمهم له ، ولنبيه محمد ﷺ ، وغنى عن البيان أن هذه الآراء والأقوال المغلوطة تحتاج منا للرد عليها وبيان فسادها ، إلى جانب اثبات القول الصحيح في القرآن الموحى به اليه ، ﷺ ، طبقا لمنهجنا في ذلك الكتاب على النحو التالي ان شاء الله .

* * *

---

(٧) نبي الاسلام في مرآة الفكر الغربي ، للدكتور عز الدين فراج ، مرجع سبق ذكره ، ص : ٣٨ ومابعدها .

الفصل السابع

دفع مفتريات المستشرقين حول القرآن الكريم

* تمهيـد
* كتاب عرب «ومسلمون» يشاركون في الحملة على كتاب الله .
* مزاعم المستشرقين و «المستغربين» حول المصحف الشريف .
* مستشرقون يردون
* القرآن الكريم وخصائصه .
* موقف القرآن والرسول ﷺ من الشعر !

دفع مفتريات المستشرقين حول القرآن الكريم

تمهـيد :

اختلف المستشرقون الذين كتبوا عن الاسلام في أهدافهم ودوافعهم ووسائلهم وميولهم حتى أصبح من المسلم به التفاوت والاختلاف في كل ماألفوه وكتبوه ، وأصبح لزاما على كل مسلم واع أن يهتم بهذه الكتابات ، أن يخضعها للبحث والدراسة والتمحيص حتى يكشف النقاب عن حقيقة الأغراض التي دفعت هؤلاء المستشرقين الى الكتابة عن الاسلام ، ويرفع الشبهات التى يحاولون بها تشويه الاسلام والافتراء على كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

فالغزو الفكري والثقافي أخذ فنونا وأشكالا عديدة منها «تلك الحملات المسعورة التي تشنها بعض الدول الكبرى المعادية للاسلام على القرآن الكريم والحديث الشريف والسيرة النبوية لتحول بين المسلمين وكتابهم ومنهجهم وقدوتهم فتتلقفهم المناهج الفاسدة والنظم الخبيثة الغازية ، ومنها — أيضا — ماوجه للغة القرآن «اللغة العربية» من حملات ضارية تستهدف مزاحمتها بلغات أخرى أو أن تحل محلها عاميات محرفة ، فيؤدي ذلك إلى مسخ فكر الأمة ، ثم مسخ شخصيتها وكيانها فترتمي خاضعة ذليلة في فكر أمة أخرى ..» [١] .

والقرآن الكريم كتاب حق وصدق يحكي بين طياته قصص الأنبياء والرسل ودعواتهم ، ويأمرنا نحن المسلمين بتصديقهم ، ويعطينا العبرة من أقوامهم الذين كذبوهم وخالفوهم دعوتهم ، في الوقت الذي يثني فيه على الذين اتبعوهم وآمنوا بما جاءوا به من عند الله هدى ونورا في الحياة الدنيا . وقد أرجف البعض الآخر منهم ، بقوله : ان القرآن من انشاء محمد — ﷺ — وليس وحيا إلهياً !! ..

(١) وسائل التربية عند الاخوان المسلمين ، للدكتور علي عبدالحليم محمود ، ص : ٤٦ .

ناسين أو متناسين في ذلك أن هناك أسبابا تنفي نفيا قاطعا أن الرسول قد ألف القرآن الكريم ، أو أنه صاغ عباراته أو آية من آياته من تلقاء نفسه .

كتاب عرب «ومسلمون» يشاركون في الحملة على كتاب الله :

وثمة من ساعد المستشرقين المغرضين على محاربة الاسلام ممن ينتمون الى الاسلام اسما ، وهم بعيدون عنه كل البعد شكلا وموضوعا لأن الله طبع على قلوبهم وأفئدتهم وجعل على أبصارهم غشاوة . وهم أما من أصل عربي ولكن على ملة اليهود والنصارى من أمثال (يوحنا الدمشقي الذي يشير اليه المستشرق الانجليزي (غيوم) باسمه العربي «منصور» وأنه من أحسن من كتب عن الاسلام ، مع العلم أن يوحنا هذا دس على الاسلام في كتابه (حياة محمد) ماليس فيه ، وقرر أن الاسلام انما هو فرقة مسيحية مارقة وضالة عن الحق !!) [٢] .

ويعتبر لويس عوض الكاتب المصري الحائز على جائزة الدولة التقديرية في الآداب لعام (١٩٨٩ م) ــ وهو عربي مسيحي مصري ممن تزعم الدعوة الى الفرعونية واحياء التاريخ الفرعوني على حساب اللغة العربية والاسلام .

«وفيليب حتى اللبناني الذي كان يعمل بجامعة برنستون بقسم الدراسات الشرقية بأمريكا ، وهو يرى أن الفتوحات الاسلامية حركة قومية نجاحها يعود مردوده الى القومية العربية لا الى الدعوة الاسلامية» [٣] .

«وهناك عزيز عطية سوريال ، وهو مصري مسيحي عمل أستاذا بجامعة الاسكندرية ، وهو يعمل الآن في احدي الجامعات الأمريكية وهو معروف بكتاباته التاريخية وخصوصا عن تاريخ الحروب الصليبية والتي ضمنها الكثير من

---

(٢) الاستشراق والمستشرقون ، وجهة نظر ، للدكتور عدنان محمد وزان ، (دعوة الحق) ، ص : ٧٢ .

(٣) د. عدنان وزان ، المرجع السابق ، ص : ٧٣ .

التحريف والتغيير لحقائف الاسلام وحقائق التاريخ ، وجاءت كتاباته مليئة بالحقد والكره للاسلام والمسلمين» [٤] .

وهناك الكثير من الأسماء التي يمكننا ذكر بعضها أمثال : جورج حوراني ، البرت حوراني ، شارلز عيسوى ، يحيى أرحجاني ، نبيه فارس ، ادوارد جرجي ، مناحم منصور ، أورشين شحاته ، كامل سعيد سامي حنا ، جورج نقاش ، كسروان اللبكي ، جرجي زيدان ، ونجيب العقيقي .

أما من ينتمون إلى الاسلام «اسما» وهم بعيدون عنه كل البعد ممن طبع على قلوبهم وأفئدتهم وجعل على أبصارهم غشاوة فنذكر منهم في العالم العربي في العصر الحديث طه حسين ، وكتاباته خصوصا في الأدب الجاهلي ومستقبل الثقافة في مصر . وفي الهند أحمد خان ، وهو من الذين افتتنوا بالمدنية الغربية ، وعمل على إقامة حركة تقدمية (حسب زعمه) في الاسلام ، وكان مشرفا على احدى المؤسسات التعليمية التي سماها باسم (الكلية الانجليزية الشرقية المحمدية))» [٥] .

ولقد كان طه حسين في مقدمة الذين أعلنوا الاعجاب والتقدير لمناهج المستشرقين ، فهو يعتبر حامل لواء الدفاع عنهم وعن أهوائهم وكثيرا ما يقول : «ان هذه الحقيقة أو تلك في تاريخ المسلمين أو فكرهم مما لا يرضي الاستشراق» . ان هذا النوع من الأنصار أو الأتباع من الذين تتلمذوا على يد المستشرق ودرسوا مناهجهم المعتمدة على التحليل النفسي (الفرويدي) والتفسير المادي (الماركسي) للأمور هم من أخطر الوسائل التي تداهم الاسلام والمسلمين .

«تبدو خطورة الاستشراق في آثاره الخطيرة التي يفرضها المستشرقون على

---

(٤) الاستشراق والتبشير وصلتهما بالامبريالية العالمية ، تأليف ابراهيم خليل احمد ، «القس فيلبس» سابقا ، ص : ٧٧ .

(٥) د . عدنان وزان ، مرجع سابق ذكره ، ص : ٧٥ .

مناهج التعليم والثقافة والفكر في العالم الاسلامي ، وقد حرص المستشرقون على كسب الأنصار واستخدام الأتباع لترويج مفترياتهم على الاسلام وكتابه ، وافتعال معارك حول عقائده وآدابه ومختلف أحكامه لتعميق المفاهيم التي يريدون فرضها ، وترسيخها في الأذهان وتوسيع دائرة الانتفاع بها»[٦] .

على أنه من الأمانة العلمية أن نشير إلى طائفة أخرى من المستشرقين عرفت حقائق الاسلام ، وآمنت به وكتبت عنه ، وقالت فيه مالم يقله أبناؤه أمثال الأستاذ محمد أسد (ليوبولد فاس) سابقاً والأستاذ عبد الرشيد الأنصاري (روبرت ولزلي) ، والأستاذ ناصر الدين (دينييه) والأستاذ عبد الكريم جرمانوس ، والسيدة مريم جميلة (مارجريت ماركوس) والكاتبة البريطانية «ايفلين كوبلد .. والدكتورة ستان رايتنس الهولندية ، ومارشيلا مايكل انجلو الايطالية ، والأستاذ المصري ابراهيم خليل أحمد الشهير بالقس (فيلبس) سابقا[٧] ... الخ . من هؤلاء الذين أسلموا واهتدوا بعد بحث واقتناع منهم ، واعترافهم بأن الاسلام دين الحق والفطرة ومنهاج الحياة السوي وأن كتاب الله تعالى ـــ القرآن الكريم ـــ قرآنا عربيا غير ذي عوج ، وأن ما جاء به هو الحق المبين .

ويمكن القول بأن ثمة عقولا مستنيرة من هؤلاء المستشرقين حاولت أن تقف موقف الجدية والبحث العلمي النزيه ، أمثال المستشرق «ديزيريه بلانشيه» مؤلف كتاب «دراسات في التاريخ الديني» يقول : لقد أتى بكتاب تحدى به البشر جميعا أن يأتوا بسورة من مثله ، فقعد بهم العجز وشملتهم الخيبة ، وبهتوا أمام ذلك الاحراج القوي الذي أغلق في وجوههم كل باب» .

---

(٦) للمزيد والتفصيل انظر : اللسان العربي والاسلام ، للدكتور السيد رزق الطويل (دعوة الحق) ، الفصل الثالث ، ص : ٤٩ـــ٨٢ .

(٧) الذي كان يعمل راعيا للكنيسة الانجيلية ، وأستاذا للاهوت بالكلية اللاهوتية بأسيوط في صعيد مصر ، وقد أصدر عدة مؤلفات عن الاسلام والرسول منها : محاضرات في مقارنة الأديان ، محمد في التوراة والانجيل والقرآن ، الغفران بين الاسلام والمسيحية وكتب أخرى ، صدرت طبعاتها الجديدة عام ١٤٠٩ هـ ـــ ١٩٨٩ م عن دار المنار ، القاهرة .

مزاعم المستشرقين و «المستغربين» حول المصحف الشريف :

يمكن تلخيص مزاعم المستشرقين وادعاءاتهم في ثلاث نقاط هي :

* ادعاؤهم أن النبي محمد ﷺ مؤلف القرآن الكريم (كارلايل ، غوستاف لوبون ، جولد زيهر ، جورج سيل) .
* ادعاؤهم أن القرآن خليط مهلهل مشوش ، وكلام ركيك ثقيل على النفس ، وفقر مدقع في الأفكار وعدم الاتساق ومجموع ملاحظات كان يدونها تلاميذ محمد ، وأن القرآن الذي نقلوه ــ هم ــ ليس بعينه القرآن الذي تلاه محمد ، بل انه حرف وبدل بعد وفاته ، وليس في القرآن قيمة أدبية خاصة مادام محمد كارها للشعر والشعراء محترزا أن يكون أحدهم ! (كارلايل ، نولدكه ، ج . ايراك ، جوستاف فايل ، اميل درمنغم) .
* ادعاؤهم أن النبي محمد مدين بفكرة فواتح السور من مثل حم ، طسم ، الم ، كهيعص .... الخ لتأثير أجنبي ، ويرجح أنه تأثير يهودي ، ومصدر القصص القرآني هو التشابه الحاصل بين هذا القصص وبين القصص اليهودي والمسيحي ، وقد كان التأثير واضحا في السور المكية ، وان محمدا استقى تعاليمه من الكتابيين .. (لوت ، بلاشير جيوم ، نولدكه ، ريتشارد بل ، بلس) .

بل ان المضحك حقا ــ وهو من شر البلية كما يقولون ــ ماذهب اليه بعضهم من أن فواتح السور هذه ليست من القرآن ، وانما هي «رموز لمجموعة الصحف التي كانت عند المسلمين الأولين قبل أن يوجد المصحف العثماني» !! . وتفسيرهم لحرف مثل «الم» ، «كهيعص» ، «ن» ، ... بأن حرف الميم رمز لصحف المغيرة بن شعبة ، الهاء لصحف أبي هريرة ، الصاد لسعد بن أبي وقاص ، النون لصحف عثمان وأن محمدا ظن أن مريم أخت هارون وكيف تكون مريم أخت موسى هي التي عاشت قبل

المسيح بألف وأربعمائة عام هي أم المسيح عيسى ؟! «نولدكه ، جيوم ، بلس» .

ولعلنا نلحظ أن كل هذه الأقوال و «التفسيرات» التي جاءوا بها هي مما يبعث على القهقهة والسخرية في آن واحد .

مستشرقون يردون :

أما بالنسبة لدحض هذه المفتريات على القرآن الكريم ، كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فهو أمر سهل وميسور ، وسنعتمد في الجزء الأول منه على أقوال جانب من المستشرقين الموضوعيين الذين فندوا تلك الأقوال الباطلة والمزاعم الخاطئة حول القرآن الكريم ، ونحن في هذا بصدد ، «مستشرقون يردون على مستشرقين» . والجزء الثاني من الرد سينصب على «الدليل النقلي» من القرآن الكريم ، بعد أن أسبقناه «بالدليل العقلي» .. وبذلك نكون قد جمعنا بين الأمرين معا في دحض تلك المفتريات .

فأما الأول فانني أبدأه بما قاله «الكونت هنري دي كاسترى» (لو قال قائل ان القرآن ليس كلام الله بل كلام محمد ﷺ ، فلابد لنا على الحالين من الاعتراف بأن تلك الآيات البينات لا تصدر عن مبتدع أبدا ، خلافا لرأي من ذهب الى تكذيب نبوته .. ولعل رأيهم جاء من ضيق (فهمهم) للغة التي تلجئنا (أى المستشرقين الطاعنين) الى أن نرمى نبيا هو في الحقيقة شخص ملىء أمانة وصدقا) (٨) .

ويتساءل «الكونت» مستنكرا : وكيف يعقل أن النبي ﷺ ألف هذا الكتاب (القرآن) باللغة الفصحى مع أنها في الأزمان الوسطى ـــ كاللغة

(٨) الاسلام خواطر وسوانح ، للكونت هنري دي كاستري ، مرجع سابق ذكره ، ص : ٢٦ .

اللاتينية ــ ماكان يعقلها الا القوم العالمون ؟!

بل ذهب إلى أبعد من ذلك فتعجب من مسيو (ريناردوزني) مما قاله في كتابه «تاريخ الاسلام» عن القرآن «ان في القرآن أغلاطا نحوية كثيرة ، وان تلك الأغلاط جعلت فيما بعد من جملة قواعد النحو أو مستثنيات من قواعده» [٩] .

ويعقب «دي كاسترى» على ذلك بقوله : ولعمري أى مصدر اعتمد عليه ذلك المؤلف فيما ادعى ، مع أننا لم نعهد كتبا نحوية قبل الاسلام ، ولو صح وجود شيء منها فلا بد أنه كان عزيزا نادرا . وقد شاهدنا أن أناسا ــ كان أكثرهم أميين قاموا في أمة العرب ــ وادعوا النبوة ، وادعى النبوة منهم مسيلمة الكذاب الذي زعم أنه قرين محمد ثم أتى بسور سخر العرب منها .

لقد جاهر (كلوفارير) الكاتب الفرنسي المعاصر وعضو مجمع الخالدين بقوله : «ان آيات القرآن جميلة وتحسن تلاوتها ، فيها نفحة ظاهرة عجيبة لأنها تأمر بالشجاعة والصدق والأمانة وتدعو إلى حماية الضعيف والى عبادة إله واحد» [١٠] .

ولعل في ذلك أبلغ رد على الذين يدعون بأن القرآن كلام ركيك ثقيل ، على النفس ، مدقع في الأفكار ، وخليط مهلهل مشوش .الخ ..

والشيء نفسه يقرره الأديب الكبير بارتملي شتيلر [١١] بقوله : «ان القرآن قد بقى أجمل مثال للغة التي أنزل بها ، ولم أر مايشبه ذلك في جميع أدوار التاريخ الديني للعالم الانساني ، وهذا الأمر يفسر لنا التأثير العظيم الذي

---

(٩) المرجع السابق ، ص : ٢٤ ــ ٢٥ .

(١٠) جولة مع المستشرقين ، عبدالخالق أبورابييه ، ص : ٧٠ .

(١١) ولئن كان «شتيلر» أخطأ هو الآخر حينما استبعد أن يكون القرآن أملاه عليه (أى على النبي محمد) جبريل من عند الله عز وجل فضلا عن اعتقاده الشخصي بأن محمدا ﷺ مؤلف هذا الكتاب (أى القرآن الكريم) .

أحدثه هذا الكتاب على العرب» (١٢) .

ويقول المستشرق جيمس متشز في احدى مقالاته : «لعل القرآن هو أكثر الكتب التي تقرأ في العالم وهو بكل تأكيد أيسرها حفظا وأشدها أثرا في الحياة اليومية لمن يؤمن به ، فهو ليس طويلا كالعهد القديم . وهو مكتوب بأسلوب رفيع أقرب إلى الشعر منه الى النثر» (١٣) .

لم يكن للنبي محمد في القرآن من حظ إلا أربعة أشياء هي : الوعي والحفظ ، لقوله تعالى : ﴿**سنقرئك فلا تنسى**﴾ (١٤) ، الحكاية والتبليغ ﴿**وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا**﴾ (١٥) .

والبيان والتفسير ، لقوله تعالى : ﴿**وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم**﴾ (١٦) ثم أخيرا التطبيق والتنفيذ لقوله تعالى : ﴿**أنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله**﴾ (١٧) .

ومن الطرائف أيضا أن نجد من المستشرقين الطاعنين في القرآن من يرد على نفسه ويناقض كلامه بعضه بعضا ، كالفيلسوف جوستاف ــ وغستاف لوبون ــ الذي قال عن القرآن مانصه : «حسب هذا الكتاب جلالة ومجدا أن الأربعة عشر قرنا التي مرت عليه لم يستطع أن تجفف ــ ولو بعض الشيء ــ من أسلوبه الذي لا يزال غضا كأن عهده بالوجود أمس ، ولم يكن هذا النبي الجليل داعياً للآخرة وحدها ، بل أمر أتباعه أن يأخذوا بنصيبهم من هذه الحياة» (١٨) .

---

(١٢) جولة مع المستشرقين ، عبدالخالق أبو رابيه ، ص : ٧٠ .
(١٣) عبدالخالق أبو رابية ، المرجع السابق .
(١٤) سورة الأعلى : الآية /٦ .
(١٥) سورة الاسراء : الآية /١٠٦ .
(١٦) سورة النحل : الآية /٤٤ .
(١٧) سورة النساء : الآية /١٠٥ .
(١٨) أبورابية ، المرجع السابق ، ص : ٧٠ .

ومن مزاياه أن القلوب تخشع عند سماعه وتزداد ايمانا وسموا ، وأوزانه ومقاطعه كثيرا ماقورنت بدقات الطبول وأصداء الطبيعة والأغاني المعروفة في الجماعات القديمة .. هذا هو القرآن الكريم معجزة نبي الاسلام ورسول السلام خاتم الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

فالقرآن الكريم معجزة خالدة لرسالة خالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ودراسته تنفي أن يكون شيء منه من كلام بشر ، والموازنة بينه وبين الأحاديث النبوية تؤكد بوضوح أن النبي محمد ﷺ لا قدرة له على الاتيان بقرآن مثله ، فهو كلام الله المعجز في آياته وبيانه .

ومافيه من تشريع ديني واجتماعي وسياسي وقوانين ومعاملات وشؤون أسرة وعلاقات داخلية وخارجية ونظام حروب وجهاد في سبيل الله لا يمكن أن يقوم به فرد واحد من عنده مهما كانت قوته وبلغ علمه .

وكما يقول «الكونت هنري دي كاستري» .. (لو لم يكن في القرآن غير بهاء معانيه وجمال مبانيه لكفى بذلك أن يستولى على الأفكار ويأخذ بمجامع القلوب . أتى محمد بالقرآن دليلا على صدق رسالته وهو لا يزال الي يومنا هذا سرا من الأسرار التي تعذر فك «طلاسمها» (أى الصعب من ألفاظه وعباراته) (١٩) .

ولن يسبر غور هذا السر المكنون الا من يصدق بأنه منزل من الله اللهم الا اعتمدنا على قول ممجدى الديانة المسيحية مما كنا نرتاح اليه أيام شبيبتنا وهو يرجع الى أن القرآن تأليف فاتح أراد تأييد سلطته فجمع من كتب اليهود والمسيحيين قانونا أودعه بعض قواعد الأدب والدين وأضاف اليه قصص الوقائع العظيمة لتأييد رسالته . وعلى كل حال سواء توصلنا الى معرفة حقيقة القرآن أم لا فلا ينكر أحد أن مظهر محمد ﷺ كان مظهر نبوة بالفعل ، هكذا قال

---

(١٩) الاسلام خواطر وسوانح ، المرجع السابق .

«دي كاستري» في كتابه سالف الذكر .

وثمة حقيقة كبرى لا يمكن تجاهلها ولا بالمقدور انكارها وهي أن ماجاء به نبي الاسلام ﷺ وان اتفق مع جميع الرسالات السابقة في الدعوة الى التوحيد ، الا انه انفرد بأشكال وأوضاع في العبادات والمعاملات لم يسبقه اليها دين من قبل . كما أن الاسلام انفرد بشمول شريعته وأحكامها لكل حاجات البشرية ومطالبها وأوضاعها المتعددة والمتباينة لكونه الدين الخاتم والشريعة الناسخة لما قبلها من شرائع وديانات . «فكيف يصح في الأذهان أو تصدق العقول مايفتريه (جولد تسهير) من أن الاسلام مزيج من منتخب المعارف والآراء اليهودية والمسيحية ؟!» [٢٠] .

نعم قد نرى تشابها بين القرآن والتوراة في بعض المواضع الا أن سببه ميسور المعرفة ، «ذلك أن محمدا كان يلصق (يقارن) ديانة الاسلام بالديانتين المسيحية واليهودية [٢١] . فالبحث مباح فيما اذا كان مذهبه صحيحا اتخذه ليؤيد به الحقيقة الدينية من حيث هي» [٢٢] . ولكن لا نسلم انكار هذه الحقيقة وحينئذ لا عجب اذا تشابهت تلك الكتب في بعض المواضع خصوصا اذ لاحظنا أن القرآن جاء ليتممها كما أن (النبي ﷺ) خاتم الأنبياء والمرسلين .

وفي تحليل هذه القضية يقول «الكونت هنري دي كاستري» : والآن نلخص مذهب المسلمين في الديانات الثلاثة فنقول : «ان دين الأنبياء كان كله واحدا ، فهم متحدون في المذهب منذ آدم الى محمد ، وقد نزلت ثلاث كتب سماوية هي : الزبور والتوراة والقرآن . والقرآن بالنسبة الى التوراة كالتوراة

---

(٢٠) مفتريات على الاسلام ، أحمد محمد جمال ، مرجع سابق ، ص : ١٢٦ .

(٢١) اشارة الى قوله تعالى على لسان رسوله الكريم : **﴿قل ماكنت بدعا من الرسل ومأأدرى مايفعل بي ومابكم ان أنا إلا نذير مبين﴾** سورة الاحقاف ، آية : ٩ .

(٢٢) الاسلام خواطر وسوانح ، الكونت هنرى دي كاستري ، مرجع سابق الاشارة اليه ، ص : ٢٧ .

بالنسبة الى الزبور أو أن محمدا بالنظر إلى عيسى كعيسى بالنظر إلى موسى ولكن الأمر الذي تهم معرفته هو أن القرآن آخر كتاب سماوي ينزل للناس وصاحبه خاتم الرسل ، فلا كتاب بعد القرآن ولا نبي بعد محمد ﷺ ، ولن تجد بعده لكلمات الله تبديلا» (٢٣) .

اذا تقرر هذا لم يعد هنالك وجه للاستغراب من وجود بعض التشابه بين القرآن والتوراة ، فمحمد كعيسى قال انه بعث ليتمم رسالة من قبله لا ليبيدها ، فلم يكن من أمره الابتعاد عمن تقدمه .

اذن ليس محمد من المبتدعين ولا من المنتحلين كتابهم وليس هو نبي سلاب كما يقول مسيو (سايوس) وجورج سيل ومن شابههما .

أما ماادعاه كل من جورج سيل وريتشارد بل ، وج . ايراك وجوستاف فايل وكازانوفا .. من أن القرآن الذي نقله أصحاب محمد ليس بعينه القرآن الذي تلاه محمد على المسلمين أثناء حياته ، بل انه حرف وبدل بعد وفاته وخاصة في الصدر الأول للاسلام .

فتجدر الاشارة الى أن الذين زعموا هذا الزعم الفاسد هم من أشد المستشرقين تعصبا ، أما كثرتهم فيقرون بأن القرآن الذي نقرأه ونرتله اليوم انما هو بعينه القرآن الذي قرأه النبي محمد ﷺ أثناء حياته ، لم يحرف ولم يبدل .

وهم حريصون على أن يذكروا هذا وان أضافوا اليه نقدا للنظام الذي جمع القرآن به ولترتيب السور فيه . وكان على رأس هؤلاء المستشرقين السير وليم ميور ، وهو المسيحي الشديد الحرص على مسيحيته ، فقد ذكر في كتابه (حياة محمد) ماترجمته : «كان الوحي المقدس أساس أركان الاسلام فكانت تلاوة ماتيسر منه جزءا جوهريا من الصلوات اليومية يؤديها جزا دينيا صالحا ذلك

(٢٣) الاسلام خواطر وسوانح ، المرجع السابق ، ص : ٢٧ .

كان جماع الرأى في السنة الأولى» (٢٤) .

«وكل مالدينا مقنع تمام الاقتناع بأن الأمر كذلك ـــ وهو أن القرآن الذي نتلو انما هو نص مصحف عثمان لم يتغير . فليس في الأنباء القديمة أو الجديرة بالتصديق مايلقي على عثمان أية شبهة بأنه قصد الى تحريف القرآن . نستطيع أن نستنبط مطمئنين أن مصحف عثمان كان ومايزال صورة مضبوطة لما جمعه زيد بن ثابت مع مزيد في التوفيق بين الروايات السابقة له وبين لهجة قريش ، ثم استبعاد القراءات التي كانت منتشرة في انحاء الدولة» (٢٥) .

ولا مراء في أن ذلك النفر القليل من غلاة المستشرقين الذين نادوا بفرية تحريف القرآن وأنه كتاب من وضع الرسول محمد هم مسيحيون مغرقون في مسيحيتهم ظلوا يفترون على الاسلام ونبيه الكريم يتلمسون المطاعن في تعاليمه السمحة بمعاونة أحبار الكنيسة وبتأييد من الاستعمار الغربي ، فأتوا بآراء ونظريات مما يبرأ الاسلام . وأدخلوا على سيرة الرسول الأعظم خرافات لا يسيغها العقل الواعي ولا يقبلها الذوق السليم .

وماقاله جيوم أو «غيوم» ان محمدا كان دارسا مبتدئا للكتاب المقدس ، فظن أن مريم أخت عيسى عليه السلام هي مريم أخت هارون مع أن بين عيسى وهارون زمنا طويلا . والشيء نفسه عند «بلس» . فلا أساس له من الصحة على الاطلاق ، وهذه القلة من المستشرقين كانت تجهل بلا ريب بلاغة اللغة العرية التي وصل القرآن فيها ذروة الاعجاز في أسلوبه ونظمه مما تسبب في أخطاء فادحة في تفسيراتهم لكثير من أمور اللغة والدين . منها ماكتبه بعضهم تفسيرا لاسم أبي بكر رضي الله عنه من أنه (أب لابنه البكر) ، ومنها ماقالوه في تفسير لمعنى (القصيد) من أنه (المقصود) ، ومنها ماتورط فيه أحدهم من خطأ معيب

---

(٢٤) جولة مع المستشرقين ، السابق ، ص : ٥٩ .

(٢٥) عبدالخالق أبورابيه ، المرجع السابق ، ص : ٦٨ .

في تفسيره لقوله تعالى ﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش﴾ بقوله : أي بدون أحذية !!

وكلمة «أخت» التي وردت في سورة مريم لا تعنى فقط الأخوة في النسب ، في اللغة العربية ، وانما تعني مع ذلك الشبيه والمماثل فيقال — مثلا — هذا الشاعر أخ للآخر ، شوقي مثلا أخ لشكسبير أو للمتنبي أو دانتي أخ للمعري ، والغرض أن كلا منهما يشبه الآخر ، وليس المعنى أن أبوى هذا هما أبوا الآخر . وقد كانت مريم أم المسيح معروفة بورعها وتقواها ، وهي الأنثى الوحيدة التي تقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا فكانت ضمن سدنة بيت المقدس .

«وكانت تُشبَّه بهارون في ورعها وتقواها .. فالآية لا تشير بوجه ما إلى أن محمدا قال انها أخت موسى وهارون ، وليس فيها مايوحي أنه درس الكتاب المقدس أو اطلع عليه» (٢٦) .

القرآن وخصائصه :

في اطار تصحيح تلك المفاهيم الخاطئة وهذا التحريف والافتراء الفاشي في أقوال وأفكار بل ودعوات المستشرقين المغرضين حول القرآن الكريم ، تجدر الاشارة إلى أنه من المتفق عليه في (علم أصول الفقه) أن القرآن الكريم لجملة خصائص وميزات يتميز بها عن غيره من الكتب السماوية والأدبية البلاغية الأخرى . وذلك على النحو التالي :

القرآن : من قرأ الكتاب قراءة بمعنى أظهر وبين مافيه ، وقرآن بالضم مصدر على وزن فعلان (بمعنى الجمع) وقيل انما سمي قرآنا لأنه جمع ثمرات الكتب السالفة المنزلة «وسمى (بالكتاب) اشارة الى جمعه في السطور ، لأن الكتاب

(٢٦) المستشرقون والاسلام ، للدكتور عبدالجليل شلبي ، ص : ٢٩ .

جمع للحروف ورسم للألفاظ كما في قوله تعالى : ﴿**حم والكتاب المبين**﴾ وسمي (بالفرقان) وهو مصدر من فعل فرق ، والفرقان هو مايفصل بين الشيئين ، وسمي به القرآن لأنه يفصل بين الحق والباطل» (١) .

وهو كلام الله المعجز الذي أنزله على رسوله محمد النبي الأمي بلفظ عربي مبين في مائة وأربع عشرة سورة . كما في قوله تعالى ﴿**كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون**﴾ (٢) ، وقوله ﴿**انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون**﴾ (٣) ، وقوله : ﴿**وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين**﴾ (٤) .

اعجازه البلاغي للعرب البلغاء الذين نزل فيهم ونجد ذلك واضحا في قوله تعالى : ﴿**وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين**﴾ (٥) .

شهادة أعداء القرآن ببلاغته ، فقد ذكر القرشيون وهم أهل الفصاحة والبلاغة والبيان أن القرآن في أعلى درجة من البلاغة وشهدوا ــ له ــ بأنه فوق قدرة البشر أنفسهم جميعا ، فهاهو «الوليد بن المغيرة» ــ الحكم عمرو بن هشام ــ يشهد على ذلك بقوله :

«والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى عليه ، وماهذا بقول بشر» (٦) .

---

(١) قرآن الله ، للاستاذ عبدالخالق سيد أبورابية (دراسات في الاسلام) ، القاهرة ، ص : ٩ ومابعدها .
(٢) سورة فصلت : الآية /٣ .
(٣) سورة يوسف : الآية /٢ .
(٤) سورة الشعراء الآيات/ ١٩٢ــ١٩٥ .
(٥) سورة البقرة : آيتي / ٢٣ــ٢٤ .
(٦) السيرة النبوية ، ابن هشام ، فصل : «خبر الوليد بن المغيرة فيما يصف به القرآن» ، ١ /٢٧٠ .

نلخص من هذا الى أن «محمدا» ﷺ لم يتحد العرب على مازعمه «درمنغم» في كلامه وانما الذي تحداهم هو الله سبحانه وتعالى ، لأن القرآن ـــ كما هو معلوم ـــ كلام الله عز وجل وليس كلام محمد ولا هو من عنده . فقد ظل النبي في قومه أربعين عاما قبل الرسالة لم يخط كلمة واحدة ولم يكتب بقلم ، أو يحسب حسابا ، ولم ينشد شعرا ولم يحفظ من أخبار الأولين خبرا ولم يرو أثرا ولم يتعلم عند كاهن أو كتابي لقوله تعالى : ﴿**وماكنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمنك . اذا لارتاب المبطلون**﴾ (٧) .

فالقرآن الكريم هو الحكمة البالغة المنزهة عن قول الشعراء حتى أن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، قال في ذلك : أشهد أنك رسول الله . يقول الله ﴿**وماعلمناه الشعر وماينبغي له**﴾ (٨) . فهل بعد هذا يصح الزعم ان محمدا ﷺ كارها للشعراء محترزا من أن يكون أحدهم ؟! وافتراء كهذا الذي يقول به «درمنغم» يدعونا لبيان موقف القرآن والرسول ﷺ من الشعر والشعراء .

موقف القرآن والرسول من الشعر ؟ :

ان القرآن الكريم لم يحارب الشعر لذاته في الأحكام التي جاء بها وانما حارب «المنهج» الذي سار عليه الشعر والشعراء ، منهج الأهواء والانفعالات التي لاضابط لها ولا رابط ، ومنهج الأحلام المهمومة التي تشغل أصحابها عن تحقيقها : استمع معي الى قوله تعالى : ﴿**والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون**﴾ (٩) .

---

(٧) سورة العنكبوت : الآية /٤٨ .

(٨) سورة يس الآية /٦٩ .

(٩) سورة الشعراء : الآية / ٢٢٥ .

لذلك جاء وصف الشعراء ، في القسم الأول من هذه الأحكام بأنهم يجاريهم ويسلك مسلكهم ويكون في جملتهم «الغاوون الضالون» عن سنن الحق الحائرون فيما يأتون ويذرون ولا يستمرون على وتيرة واحدة في الأفعال والأقوال ، وانهم في كل لغو يخوضون : **﴿ألم تر أنهم في كل واد يهيمون﴾** ؟! . وفي كل فن ينظمون وهم يعملون خيالهم في كل الموضوعات بدون تمييز ولا تفريق !

هذا النوع من الشعر في هذا القسم هو الذي حاربه الاسلام وذمه ونهى الله عنه ، فبعد أن انتهى القرآن من تقرير هذه الصفات للشعراء الخارجين ومن والاهم وتابعهم في مسلكهم وسار في ركابهم عاد ليستثني الشعراء المؤمنين الصالحين . فبعد أن نزلت الآية : **﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾** توجه حسان ابن ثابت وعبدالله بن رواحة وكعب بن مالك الى الرسول (ﷺ) وهم يبكون ، قالوا : قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء ، فتلا النبي ﷺ **(الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات)** ، قال : **أنتم** ، **وذكروا الله كثيرا** ، قال : **انتم** ، **وانتصروا بعدما ظلموا** ، قال : **أنتم** . »[١٠] .

من هذا نستنتج أن القرآن الكريم قد ميز بين فريقين من الشعراء فريق استغل فنه وموهبته الشعرية فيما ينافي هدى الدين وآدابه وهذا هو الفريق المعيب الذي حاربه القرآن ــ والاسلام ــ وفريق ثان اتجه بشعره الى العمل الخير الجميل والى نصرة الحق أنى وجده ، وهو الفريق الذي أخرجه القرآن من هذا الوصف العام وأيده بكل قوة .

فالقضية اذن فيما يتناول الشعراء من المعاني والأغراض وليست «الشعر» في ذاته ، لأنه سلاح ذو حدين .

أما عن موقف الرسول ﷺ من الشعر ومازعمه «أميل درمنغم» في هذا

---

(١٠) ابن كثير ، تفسير القرآن ، ط ٢ دار الشعب ، القاهرة ، : ٦ /١٨٦ــ١٨٧ .

الصدد ، فنذكر أن النبي الكريم نهى عن لون معين من الشعر وعن موضوعات خاصة كشعر المجون والهجاء الذي عني هجاء الدعوة الاسلامية ورمى المسلمين من قبل المشركين والمعارضين للرسول ودعوته من هؤلاء الشعراء .

أما فيما عدا ذلك فإن الرسول ﷺ قد أقر الشعر والشعراء وطلب منهم أن يردوا على قريش بشعرهم وينصرونه بألسنتهم كما نصروه بأسلحتهم وسمح لهم بذلك ولكنه كان ﷺ من وراء الشعراء يوجههم الى مايوافق الاسلام من أغراض الشعر ويرد عن المسلمين أذى المشركين وهجاءهم للاسلام .

يضاف الى ذلك أن النبي خص حسانا بن ثابت بالعناية والرعاية اكثر من الشعراء الآخرين لما كان من شعره من أثر كبير على المشركين الذين كانوا يفرقون من لسانه ويفزعون من شعره ، كما جاء في حديث النبي الكريم : **(أمرت عبدالله بن رواحه فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان بن ثابت فشفى واستشفى)** [١١] .

هذا هو الموقف الحقيقي للاسلام والرسول من الشعر والشعراء على الاجمال والاختصار ، وليس صحيحا مازعمه هذا المستشرق الجاهل ــ اميل درمنغم ــ أن محمدا كان كارها للشعراء محترزا منهم .

---

(١١) مسلم : ٥ /١٥ ، باب «فضائل حسان بن ثابت»، ص : ٤٨ــ٤٩ .

الفصل الثامن

المستشرقون والنبي محمد

* الرسول أيضا يهاجمونه
* دوافع الهجوم المسعور على شخصية الرسول
* ماهكذا تؤخذ أقوال المستشرقين
* محمد ﷺ في نظر المستشرقين المنصفين
* دفاع القرآن عن النبي
* اصرار المستشرقين على تشويه الاسلام

الرسول .. أيضا يهاجمونه

اذا كان القرآن الكريم ، كتاب الله عز وجل ، لم يسلم ــ على نحو مابينا في الفصل السابق ــ من طعن المستشرقين فيه ، وشن حملاتهم الشعواء ضده وهجومهم المسعور عليه ، فان النبي محمد ــ ﷺ ــ لم يسلم أيضا من هذا الطعن وهذا الهجوم البغيض من قبل هؤلاء الذين اتهموه باتهامات باطلة لا أساس لها على الاطلاق .

من ذلك ماجاء في موسوعة «لاروس» الفرنسية ، خلال عرضها لآراء كتاب المسيحية في النصف الأول من القرن ١٩ ، الذين جاء في أقوالهم مانصه : «بقى محمد مع ذلك ساحرا ممعنا في فساد الخلق لص نياق (سارق جمال) كردينالا لم ينجح في الوصول الى عرش البابوية ، فغضب عليه «البابا» فاخترع دينا جديدا لينتقم من زملائه» !

ويذكر جيبردى نوجان كذبا وافتراءا «أن محمدا مات في نوبه سكر شديد وأن جسده (الشريف) وجد ملقى على كوم من الروث أى (القاذورات) وقد أكلت منه الخنازير» [١] . وذلك ليفسر السبب الذي من أجله حرم الاسلام الخمر وأكل لحم الخنزير .

كذلك فان المستشرق (بريدو) الانجليزي ألف سنة ١٧٣٣ م كتابا في سيرة النبي محمد وجعل عنوانه (حياة ذي البدع محمد) ، وترجمه بعضهم الى العربية وجعل له مقدمة بين فيها مقصد المؤلف فقال «ان غرض واضع هذا الكتاب هو خدمة المقصد المسيحي يذكر حياة ذلك الرجل الشرير محمد» [٢] .

---

(١) جولة مع المستشرقين ، مرجع سابق ، ص : ٢٢ .

(٢) الاسلام خواطر وسوانح ، المرجع السابق ، ص : ١٩

وقد بذل في سبيل ذلك جهدا واسعا لتأييد سواقط أقوال مهاجمي الرسول الكريم ، وكان همه ــ ومن معه ــ أن يشبعوا خصمهم سبا وشتما ، وان يحرفوا في النقل مهما استطاعوا وكلفهم ذلك من تكاليف .

وفي كتاب «جولد تسيهر» أغلاط فادحة عن نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام ، يهدف منها التأكيد على أن محمدا رجل أقوال ومواعظ ولم يكن رائدا عمليا ومرشدا للناس بسلوكه وخلقه وسيرته ، وبالتالي لم يكن أسوة ومثلا أعلى للغير !

ولا ندري كيف يكون الرسول الكريم «سراجا منيرا» كما يقرر القرآن ذلك «في سورة الأحزاب /٤٥» ، «وهي الآية التي استشهد بها «جولد تسيهر» نفسه ، اذا لم يكن حقا قدوة مضيئة وأسوة مشرفة ومثلا أعلى في أفعاله وأخلاقه وسيرته ؟» (٣) .

دوافع الهجوم المسعور على شخصية الرسول :

ويرجع ذلك لوجود ترجمات للقرآن الكريم خاطئة ومشوهة قام بها البعض بنقلها الى اللغات الأوروبية مع تحريف متعمد في كثير من الأحيان لعقائد الاسلام وشرائعه وأخلاقياته ، الأمر الذي شوه الاسلام وصورة الرسول الكريم أمام الغربيين تشويها مكثفا وواضحا .

ويعلل المستشرق مونتيه Monthyah طعن هؤلاء المستشرقون في شخصية النبي محمد بقوله : «كثيرا ماحكمت عليه الأحكام القاسية وماذلك الا لأنه ندر بين المصلحين من عرفات حياتهم بالتفصيل مثله ، وأن ماقام به من اصلاح الأخلاق وتطهير المجتمع يمكن أن يعد به من أعظم المحسنين الى الانسانية جمعاء» (٤) .

(٣) مفتريات على الاسلام ، مرجع سابق ذكره ، ص : ١٢٧

(٤) جولة مع المستشرقين ، المصدر السابق ، ص : ٢٥ ومابعدها .

بل ان المستشرق الألماني المعاصر (استيفان فيلد Stephan Field يوضح الحقيقة اكثر فيقول : «والأقبح من ذلك أنه توجد جماعة يسمون أنفسهم مستشرقين سخروا معلوماتهم عن الاسلام وتاريخه في سبيل مكافحة الاسلام والمسلمين ، وهذا واقع مؤلم لابد أن يعترف به المستشرقون المخلصون لرسالتهم بكل صراحة» [٥] .

ماهكذا تؤخذ أقوال المستشرقين

ويلهث عدد غير قليل من كتابنا ومترجمينا العرب والمسلمين وراء هذا النوع من الكتابات والمؤلفات الاستشراقية الشاذة ، واهما كل الوهم — ان لم يكن مستفيدا منها — أنها تفيد الاسلام أو تضيف شيئا الى رصيد العظمة التي يتمتع بها الاسلام ونبيه محمد ﷺ .

مع أن كثيرا من تلك «الكتب» يعج بالخلط والخطل المنهجي ويمتلىء بالمقاييس غير الموضوعية وغير المنضبطة في غالب الأحيان .

فعلى سبيل المثال : كتاب «العظماء مائة وأعظمهم محمد ﷺ» [٦] ، لمؤلفه الأمريكي المعروف «مايكل هارت» .. ليس فيه مايدعو الى كل هذه الضجة التي أثيرت حوله في حينها

فما هو ياترى ذلك الحدث الخطير الذي جاء به مؤلفه عن «محمد» ﷺ .

الواقع ان «مايكل» لم يزد شيئا عن الاتيان باسم (محمد) والحديث عنه كمجرد «مصلح اجتماعي» وانسان أخلاقي فحسب ، وليس باعتباره نبيا ورسولا !

---

(٥) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، للدكتور محمود حمدي زقزوق «كتاب الأمة» ، مرجع سابق ذكره ، ص : ٤٤ .

(٦) ترجم هذا الكتاب أنيس منصور وصدرت ط ١ عن المكتب المصري الحديث ، القاهرة ، ١٩٨٣ م .

وبالتالي فمحمد ﷺ لم يزد شيئا في قيمته ، وخصوصيته عند هذا المستشرق عن غيره ممن ضمنهم الكتاب صفحاته مثل «كارل ماركس» و «نيوتن» و «بتهوفن» . فهل هذا «المنهج» جدير بالقبول والاعتبار ؟

ان الأستاذ العقاد يجيب لنا على هذا السؤال فيقول : «ان الناس قد أجترأوا على العظمة في زماننا بقدر حاجتهم الى هدايتها .. فان شيوع الحقوق العامة قد أغرى أناسا من صغار النفوس بانكار الحقوق الخاصة ، حقوق العلية النادرين الذين ينصفهم التمييز وتظلمهم المساوالا ــ والمساواة ــ هي شرعة السواد الغالبة في العصر الحديث» (٧) .

فليست المسألة اذن أن المستشرق «فلان» يذكر محمدا صاحب الرسالة الخالدة أو يمتدح جانبا من سلوكه وشخصيته ، ولكن المعول عليه في هذا كله هو الموقف الحقيقي الصريح لهذا المستشرق أو ذاك من النبي ودعوته ، وليس مجرد الحديث المترف «الفذ لكة» عن الاسلام ونبيه !

محمد ﷺ في نظر المستشرقين المنصفين

وعلى الرغم مما قاله ــ وذكرناه ــ أصحاب الفريق الطاعن في شخص الرسول محمد ــ ﷺ ــ والمهاجم لدعوته ورسالته الاسلامية الغراء، فان ثمة فريقا من المستشرقين المنصفين حاولوا أن يكونوا وجهة نظر موضوعية ، وأن يكونوا أمناء في دراساتهم العلمية وأن يتخلوا ــ بشكل ما ــ عن التعصب ضد الاسلام ونبيه .

نذكر من هؤلاء المستشرق كارادى فو .. قال في كتابه (المحمدية) «... ان محمدا كان هو النبي الملهم والمؤسس ، «للاسلام» ، ولم يستطع أحد أن ينازعه المكانة العليا التى كان عليها ، ومع ذلك فانه لم ينظر لنفسه

---

(٧) عبقرية محمد ، للعقاد ، ط ، القاهرة ، ص : ٧ .

كرجل من عنصر آخر أو من طبقة أخرى غير طبقات بقية المسلمين . ان شعور المساواة والاخاء الذي أسسه بين أعضاء الجماعة الاسلامية كان يطبق عمليا حتى على النبي نفسه» [٨] .

وكذلك المؤرخ الانجليزي (ستانلى لين بول) الذي يقول : «ان كثيرا من كتاب التراجم والسير من الأوروبيين الذين تناولوا الكلام على سيرة محمد ﷺ لم يتعففوا عن أن يشوهوا هذه السيرة بما أدخلوه عليها من افتراءات وادعاءات ، كاتهامهم صاحبها بالقسوة وارتكاب الموبقات والانهماك في الشهوات ، وانه كان دجالا دعيا وطاغيا متعطشا لسفك الدماء .. ويستطرد المؤرخ المنصف فيقول : ان محمدا كان يتصف بكثير من الصفات الحميدة ، كاللطف والشجاعة ومكارم الأخلاق ، حتى ان الانسان لا يستطيع ان يحكم عليه دون أن يتأثر بما تتركه هذه الصفات من أثر في نفسه ، ودون أن يكون هذا الحكم صادرا عن غير ميل أو هوى . وقد بلغ محمد من نبله أنه لم يكن طول حياته البادىء بسحب يده من مصافحه ، حتى ولو كان المصافح طفلا ، وأنه لم يمر بجماعة يوما ، رجالا كانوا أو أطفالا ، دون أن يقرأ عليهم السلام وفي شفتيه ابتسامة حلوة وفي فمه نغمة جميلة كانت تكفي لأسر سامعها فيجذب القلوب اليه جذبا» (ص : ٢٧ ــ ٢٨ المصدر السابق) .

ونكتفي من هذه «الاعترافات» للمستشرقين الموضوعيين الذين تحدثوا عن الرسول وعظمته ، بما قاله (لامرتين) شاعر فرنسا العظيم : «ان حياة محمد ، وقوة تأمله وتفكيره وجهاده ووثبته على خرافات

(٨) جولة مع المستشرقين ، مرجع سابق ذكره ، ص : ٢٧ .

أمته ، وجاهلية مجتمعه ، وشدة بأسه في لقاء ما لقيه من عبدة الأوثان وايمانه بالظفر واعلاء كلمة الله ، ورباطة جأشه لتثبيت أركان العقيدة الاسلامية ، ان كل ذلك أدلة قاطعة على أنه لم يكن يضمر في نفسه ــ خداعا أو يعيش على باطل ، فهو خطيب ورسول ومشرع وهادي الانسان الى العقل وناشر العقائد المعقولة الموافقة للذهن واللب ، ومؤسس دين لا فرية فيه ، ولا صور تماثيل ولا رقيات ، .. فأي رجل أدرك من العظمة الانسانية مثلما أدرك ، وأي انسان بلغ من مراتب الكمال مثل مابلغ ؟ ان محمدا أعظم من انسان عادي .. أى انه نبي» ﷺ . (المصدر السابق : نفسه) .

أما أن (محمدا) ﷺ لم يزعم أنه قديس فليس ذلك طعنا في نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام ، كما توهم جولد زيهر ، بل هو مفخرة له ودليل على نبوته وصدق رسالته ، وسلامة دينه من مفاسد الكهنوت والطاغوت .

ذلك أن الميزة الواضحة في دين محمد ﷺ انه يجعل كل انسان مسؤولا عن نفسه ، فهو بتساميه يستطيع أن ينال الرضا ، وبتدنيه يستحق غضب الله ، «ان الانسان ــ في الاسلام ــ صانع حاضره ومستقبله بما يقدم من خير أو شر» ﴿**فمن يعمل مثال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**﴾ (سورة الزلزلة : آيتى / ٧،٨) .
ولا مكان لدخيل من الكهان يزعم أنه يبيع المغفرة ويحمل عن الناس الخطايا» [٩] .

---

(٩) مفتريات على الاسلام ، مرجع سابق ، ص : ٢٨ .

ولقد كان من حكمة الله البالغة أن يبعث محمدا أميا وجعل ذلك معجزة له ، ﴿**هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين**﴾ (سورة الجمعة ، الآية /٢) .

فلو أنه كان يقرأ ويكتب لصحت مزاعم أعداء دينه من السابقين المعاصرين له واللاحقين من المستشرقين ، بأنه نقل أفكار الأديان السابقة ونسبها لنفسه . وقد قرر تعالى ذلك صراحة في قوله تعالى ﴿**وماكنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون**﴾ (سورة العنكبوت ، الآية : ٤٨) .

دفاع القرآن عن النبي

بل ان الآيات القرآنية التى وردت في سورة (الحاقة) تدحض كل ادعاء يدعيه هؤلاء المستشرقين وغيرهم وترد بكلام الله عز وجل على كل اتهام حاول ويحاول ان يلصقه المفترون برسول الله ﷺ .

قال تعالى في بيان ذلك واثباته على سبيل القطع والتأكيد ﴿**فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون انه لقول رسول كريم . وماهو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون . تنزيل من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين . وانه لتذكرة للمتقين وانا لنعلم أن منكم مكذبين . وانه لحسرة على الكافرين . وانه لحق اليقين . فسبح باسم ربك العظيم**﴾ (سورة الحاقة الآيات / ٣٨ـ٥٢) .

* * *

من كل ماسبق نستطيع ان نخلص الى جملة ملاحظات توقفنا على حقيقة الاستشراق والمستشرقين ودوافعهم نحو الاسلام والنبي محمد ، وهو مانوجزه في التالي :

تعرض الدين الاسلامي الحنيف ، والرسول الكريم ﷺ ، فضلا عن العرب الذين حملوا رسالة الاسلام شرقا وغربا ، الى حملات شتى من التشويه والتضليل في أوروبا ، منذ ظهور الاسلام وبداية المد العربي الآتي من الجزيرة العربية «وأبرز أسباب هذا التضليل هي مقاومة هذا التيار الجارف الذي هدد الاطار العام لخارطة العالم القديم ، الروحية والسياسية ، وغياب قنوات التواصل الحضاري بين الشرق والغرب في حينه ، والتعصب الذي عاشته أوربا في العصور المظلمة لقد كون العقل الغربي مفهوما خاطئا ومشوها عن العرب وبالتالي الاسلام» (١٠) .

يعمد المستشرقون الى تطبيق المقاييس النصرانية على الدين الاسلامي وعلى نبيه ﷺ فالمسيح ـــ في نظر النصارى ـــ هو أساس العقيدة ، ولهذا تنسب المسيحية اليه . وقد طبق المستشرقون ذلك المفهوم الخاطيء على الاسلام وأعتبروا ان محمدا ﷺ يعني بالنسبة للمسلمين مايعنيه المسيح بالنسبة للنصارى ، ولهذا أطلقوا على الاسلام اسم المذهب المحمدي ، وهي تسمية غير صحيحة ، وأطلقوا على المسلمين وصف «المحمديين» .

«وثمة سبب آخر لاستخدام هذا الوصف لدى الكثيرين منهم وهو اعطاء الانطباع بأن الاسلام دين بشرى من «صنع» محمد وليس من عند الله ، أما نسبة النصرانية الى المسيح فلا تعطي هذا الانطباع لديهم لاعتقادهم بأن

---

(١٠) المتغير الغربي ، محمد عبدالحسين الدعمي ، ط ١ ، بغداد ، ص : ٣٧ .

المسيح ابن الله»!! [١١] .

ولذلك كان هناك تجاوب متبادل بين الاستشراق والتنصير ان لم يكن تماثل في القصد بين المستشرق الاكاديمي والمبشر الانجيلي ، فالتحالف بين الجانبين لايزال مستمرا بشكل من الأشكال حتى العصر الحاضر [١٢] .

يؤكد ذلك مايقوله «مونتجمري وات» «جد الباحثون منذ القرن الثاني عشر في تعديل الصور المشوهة التى تولدت في أوربا عن الاسلام ، وعلى رغم الجهد العلمي الذي بذل في هذا السبيل ، فان آثار هذا الموقف المجافي للحقيقة التى أحدثتها كتابات القرون الوسطى في أوربا لازالت قائمة ، فالبحوث والدراسات الموضوعية لم تقدر بعد على اجتنابها» [١٣] .

وأيضا يقرر برنارد لويس في كتابه «العرب في التاريخ» انه : «لاتزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين ومستقرة في الغالب وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلمية» [١٤] .

اصرار المستشرقين على تشويه الاسلام :

ان من دواعي الاستغراب حقا انه حتى منتصف القرن السابع عشر كان على أحد الباحثين المستشرقين أن يعتذر لقرائه لأنه ذكر ان الشؤون الاسلامية تستحق الدراسة العلمية الجادة . وطوال هذه الأزمان ، لم يظهر اسم الرسول الكريم ﷺ في الكتابات الغربية الا برفقة نعت واتهام ينم عن سوء الفهم الكامل لحقيقة الاسلام والحضارة العربية الاسلامية .

---

(١١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، للدكتور محمود زقزوق ، مرجع سابق الاشارة اليه ، ص ١١٩ .

(١٢) نفس المرجع ، ص : ٣٠ــ٣١ .

(١٣) المستشرقون ومشكلات الحضارة ، مرجع سابق ، للدكتورة عفاف صبرة ، ص : ٦١ .

(١٤) المرجع نفسه ، نفس الموضع .

وليس المبالغة في القول بأن درجة تشويه الشرق العربي ـــ الاسلامي وصلت الى حدا أصبح فيه الاسلام «تهمة» استعملها البعض ضد خصومهم : فقد وصف أحد الأساقفة مفكرا يختلف معه في الرأي بأنه «مسيحي محمدي» (١٥) .

ان الاسلام الذي يعرضه هؤلاء المستشرقين المتحاملين على الاسلام ـــ في كتبهم ـــ هو اسلام من اختراعهم ، وبالطبع ليس هو الاسلام الذي ندين به نحن ، كما أن محمدا الذي يصورونه في مؤلفاتهم ليس هو محمد الذي نؤمن برسالته ، ولكنه شخص آخر من نتاج خيالهم وأفكارهم وعقيدتهم المحرفة .

«وهكذا يمكن القول بأن الاستشراق ـــ في دراسته للاسلام ـــ ليس علما بأي مقياس علمي ، وانما هو عبارة عن أيديولوجية خاصة يراد من خلالها ترويج تصورات معينة عن الاسلام ، بصرف النظر عما اذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق أو مرتكزة على أوهام وافتراءات» (١٦) .

ومن ثم فان المرء يفتقد الموضوعية في الكثير من كتابات المستشرقين عن الدين الاسلامي والرسول محمد ﷺ ، مع أنهم يلتزمون تلك «الصفة» العلمية حينما يكتبون عن ديانات أخرى كالبوذية والهندوكية وغيرهما من الملل والنحل الأخرى .

من كل ماتقدم نصل الى نتيجة هامة : «أن عمل المستشرقين يناقض ـــ في كثير من الأحيان ـــ الطابع العلمي ، ذلك لأنه من الصعب عليهم ـــ واكثرهم مسيحيون متدينون أن ينسوا أنهم يدرسون دينا ينكر عقيدة التثليث وعقيدة الصليب والفداء وهما أسس الدين المسيحي (أى العقيدة المسيحية المحرفة)» (١٧) .

---

(١٥) المتغير الغربي ، المرجع السابق ، ص: ٣٨ ومابعدها .

(١٦) الدكتور حمدى زقزوق ، المرجع السابق ، ص : ١٢٠ .

(١٧) الدكتورة عفاف صبره ، المرجع السابق ، ص : ٦١ .

وهكذا يتأكد لنا ــ بما لا يدع مجالا للشك ــ أن المستشرقين ــ منذ بدء ظهور حركة الاستشراق في الغرب ــ عملوا جاهدين للهجوم على الاسلام ونبيه محمد ﷺ .

والحقيقة التي لا مراء فيها أن الاسلام الذي جاء به محمد ﷺ ، متمثلا في القرآن الكريم ــ كتاب الله عز وجل ــ وسنته النبوية الشريفة ليس كما ادعى الحاقدون ويدعون ، دينا لاهوتيا وليس عقيدة تقوم على الاقرار القلبي فقط على طريقة «دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله» ، دون ان يعني بالجانب المادي والروحي للانسان في هذا الوجود .

بل على العكس من ذلك يعني الاسلام أساسا بتنظيم علاقة الانسان بالكون عموما وعلاقته بالحياة والمجتمع على السواء .

كلا : ان الاسلام عقيدة كاملة وشريعة تامة ينبثق عنها نظام عالمي متكامل يقوم في ركنه على العالمية و «الوسطية» المتوازنة في كل شيء ، والتي من أبرز سماتها ماوصفها به القرآن الكريم في قوله تعالى : **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾** [١٨] ، وقوله **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾** [١٩] .

---

(١٨) سورة البقرة : الآية /١٤٣ .

(١٩) سورة آل عمران : الآية /١١٠ .

مراجع الكتاب
حسب الترتيب الأبجدى

١ ــ القرآن الكريم .

٢ ــ السيرة النبوية ، لابن هشام ، بتحقيق : مصطفى السقا وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، «د . ت» .

٣ ــ الترغيب والترهيب ، للمنذري ، طـ دار التراث ، القاهرة «د . ت» .

٤ ــ الاسلام خواطر وسوانح ، للكونت هنري دي كاستري ، ترجمة أحمد فتحي زغلول باشا ، دار الفرجاني ، القاهرة ، «د . ت» .

٥ ــ الاستشراق والتبشير وصلتهما بالامبرالية العالمية ، تأليف ابراهيم خليل أحمد (القس فيلبس سابقا) ، مكتبة الوعي العربي القاهرة ، ١٩٧٣ .

٦ ــ أوروبا والاسلام ، للدكتور عبدالحليم محمود ، طـ /المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، القاهرة ١٩٧٣ م .

٧ ــ الضياء من أقوال سيد الأنبياء ، للأستاذ عطية عبدالرحيم عطيه (دراسات في الاسلام) ، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية القاهرية ، ١٩٧٦ م .

٨ ــ الاسلام والمستشرقون ، للدكتور عبدالجليل شلبي ، دار الشعب القاهرة ، ١٩٧٧ م .

٩ ــ المستشرقون ومشكلات الحضارة ، للدكتورة عفاف صبرة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٩ م .

١٠ ــ الدعوة والداعية في الاسلام ، للدكتور أحمد غلوش ، (دراسات في الاسلام) ، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٧٩ م .

١١ ــ السلام العالمي والاسلام ، للشهيد سيد قطب ، دار الشروق القاهرة ، طـ /٥ ، ١٤٠٠ هـ ــ ١٩٨٠ م .

١٢ ــ الرسائل النبوية ــ تحقيق ودراسة ــ للدكتور علي يوسف السبكي ، القاهرة ، ١٤٠٠ هـ ــ ١٩٨٠ م .

١٣ ــ الاستشراق : المعرفة السلطة الانشاء ، تأليف ادوارد سعيد ، ترجمة : كمال أبوديب ، مكتبة مدبولي ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٨١ م .

١٤ ــ الأحاديث القدسية (جزءان) ط /٥ ، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية القاهرة ، ١٩٨٣ م .

١٥ ــ الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، للدكتور محمود حمدي زقزوق ، (كتاب الأمة) ، رئاسة المحاكم الشرعية بدولة قطر ــ ١٤٠٤ هـ ــ ١٩٨٣ م .

١٦ ــ المذهبية الاسلامية والتغيير الحضاري ، للدكتور محسن عبدالحميد (كتاب الأمة) ــ قطر ــ ١٤٠٤ هـ ــ ١٩٨٤ م .

١٧ ــ الاستشراق والمستشرقون ، وجهة نظر ، للدكتور عدنان محمد وزان (دعوة الحق) ، برابطة العالم الاسلامي ، مكة المكرمة ، ١٤٠٤ هـ ــ ١٩٨٤ .

١٨ ــ أزمة المثقفين تجاه الاسلام ، للدكتور محسن عبدالحميد ، دار الصحوة ، القاهرة ، ١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٤ م .

١٩ ــ الغزو الفكري للتاريخ والسيرة ، للمستشار علي سالم البهنساوي ، دار القلم ، الكويت ، ١٤٠٦ هـ ــ ١٩٨٥ م .

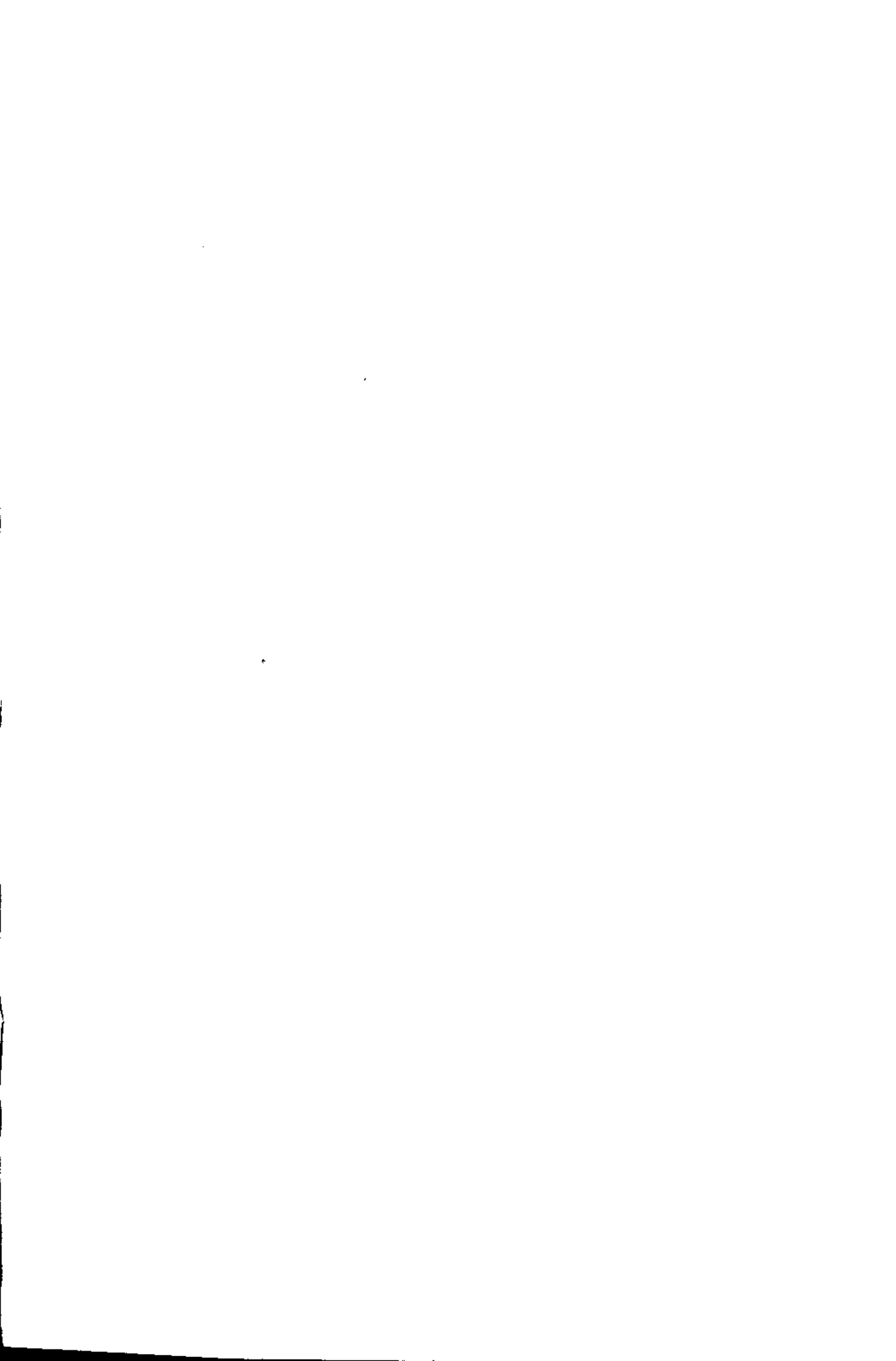
٢٠ ــ العواصم من القواصم ، للقاضي أبي بكر العربي ، تحقيق وتعليق محب الدين الخطيب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٥ م .

٢١ ــ اللسان العربي والاسلام : معا في معركة المواجهة ، للدكتور السيد رزق الطويل (دعوة الحق) ، رابطة العالم الاسلامي ، مكة المكرمة ، ١٤٠٧ هـ ــ ١٩٨٦ م .

٢٢ ــ المتغير الغربي : الشرق ، الاستشراق .. تأليف محمد عبدالمحسن الدعمي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦ م .
٢٣ ــ المجتمع الاسلامي وحقوق الانسان ، للدكتور محمد الصادق عفيفي ، (دعوة الحق) ، رابطة العالم الاسلامي ، مكة المكرمة ، ١٤٠٧ هـ ــ ١٩٨٧ م .
٢٤ ــ العدل والتسامح الاسلامي ، تأليف السيد أحمد المخزنجي (دعوة الحق) ، رابطة العالم الاسلامي ، مكة المكرمة ١٤٠٧ هـ ــ ١٩٨٧ م .
٢٥ ــ أهداف التغريب في العالم الاسلامي ، للأستاذ أنور الجندي (قضايا اسلامية معاصرة) تصدرها الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الاسلامية ، (الأزهر) ، القاهرة ١٩٨٧ م .
٢٦ ــ الثقافة الاسلامية بين الغزو والاستفزاء ، للدكتور عبدالمنعم النمر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٧ م .
٢٧ ــ المستشرقون والتاريخ الاسلامي ، للدكتور على حسن الخربوطلي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط /٢ ، ١٩٨٨ م .
٢٨ ــ الدين العالمي ومنهج الدعوة اليه ، للشيخ عطيه صقر ، مجمع البحوث الاسلامية ، الكتاب الخامس ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٨ م .
٢٩ ــ الغزو الفكري وهم .. أم حقيقة ؟ ، للدكتور محمد عمارة (قضايا اسلامية معاصرة) تصدرها الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة ، بالأزهر الشريف ، القاهرة ، ١٩٨٨ م .
٣٠ ــ الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، للمستشار الدكتور علي جريشة ، دار الوفاء ، القاهرة ، ط /٢ ، ١٤٠٩ هـ ــ ١٩٨٨ م .
٣١ ــ الحضارة الاسلامية مقارنة بالحضارة الغربية (رسالة دكتوراه منشورة) ، للدكتور توفيق يوسف الواعي ، دار الوفاء ، القاهرة ١٩٨٨ م .

٣٢ ــ تفسير القرآن العظيم ، للحافظ ابن كثير ، ط دار الشعب ، القاهرة .
٣٣ ــ حول اعادة تشكيل العقل المسلم ، للدكتور عماد الدين خليل ، (كتاب الأمة) رئاسة المحاكم الشرعية بدولة قطر ١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣ م .
٣٤ ــ رياض الصالحين ، للامام النووي ، تحقيق : أحمد يوسف الدقاق ، ط دار المأمون للتراث ، دمشق ، «د.ت» .
٣٥ ــ زاد المعاد ، للامام ابن قيم الجوزية ، تحقيق : شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط /٨ .
٣٦ ــ شذرات من السيرة العطرة لخاتم المرسلين ، للدكتور مبارك السيد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، ١٩٧٩ م (ج أول) .
٣٧ ــ شذرات من السيرة العطرة ، للدكتور مبارك السيد ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، ١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٥ م (ج ثان) .
٣٨ ــ صحيح البخاري ، بشرح الامام ابن حجر العسقلاني ، ط دار الفكر العربي ، القاهرة ، «د.ت» .
٣٩ ــ صحيح مسلم ، بشرح الامام النووي ، ط المطبعة المصرية ، القاهرة ، «د.ت» .
٤٠ ــ عبقرية محمد ، للأستاذ عباس محمود العقاد ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٨٥ م .
٤١ ــ لمحات من حياة الرسول ، للدكتور محروس رضوان عبدالعزيز دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، ١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٤ م .
٤٢ ــ لمحات في الثقافة الاسلامية ، تأليف عمرو عودة الخطيب مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط /١٠ ، ١٤٠٦ هـ ــ ١٩٨٦ م .
٤٣ ــ مفتريات على الاسلام ، للأستاذ أحمد محمد جمال ، طبعة دار الشعب ، القاهرة ، ط /٣ ، ١٣٩٥ هـ ــ ١٩٧٥ م .

٤ ـــ منهاج المسلم ، تأليف الشيخ أبوبكر جابر الجزائري ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، طـ /٨ ، ١٣٩٩ هـ ـــ ١٩٧٩ م .
٤ ـــ محمد رسول الله ، للمستشرق الفرنسي آتيين دينيه وسليمان ابراهيم ، ترجمة : الدكتور عبدالحليم محمود ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩ م .
٤ ـــ مناهج المستشرقين في الدراسات العربية ، مكتب التربية العربي لدول الخليج (الجزء الأول) الرياض ، ١٤٠٥ هـ ـــ ١٩٨٥ م .
٤ ـــ نيل الأوطار ، للامام محمد بن علي الشوكاني ، مكتبة الدعوة القاهرة ، «د.ت» .
٤ ـــ نحن والحضارة الغربية ، تأليف أبوالأعلى المودودي ، دار الفكر العربي ، بيروت «د.ت» .
٤ ـــ نبي الانسانية ، للأستاذ احمد حسين ، طـ ، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .
٥ ـــ واقعنا المعاصر ، تأليف الأستاذ محمد قطب ، مؤسسة المدينة للصحافة والنشر ، جدة ، طـ ١ ، ١٤٠٧ هـ ـــ ١٩٨٧ م .
٥ ـــ وسائل التربية عند الاخوان المسلمين ، للدكتور علي عبدالحليم محمود ، دار الوفاء ، القاهرة ، ١٩٨٩ م .



محتويات الكتاب

صدر من هذه السلسلة

العنوان	المؤلف
١ ــ تأملات في سورة الفاتحة	الدكتور حسن باجودة
٢ ــ الجهاد في الاسلام مراتبه ومطالبه	الأستاذ أحمد محمد جمال
٣ ــ الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين	الأستاذ نذير حمدان
٤ ــ الاسلام الفاتح	الدكتور حسين مؤنس
٥ ــ وسائل مقاومة الغزو الفكري	الدكتور حسان محمد مرزوق
٦ ــ السيرة النبوية في القرآن	الدكتور عبد الصبور مرزوق
٧ ــ التخطيط للدعوة الاسلامية	الدكتور محمد علي جريشة
٨ ــ صناعة الكتابة وتطورها في العصور الاسلامية	الدكتور أحمد السيد دراج
٩ ــ التوعية الشاملة في الحج	الأستاذ عبد الله بوقس
١٠ ــ الفقه الاسلامي آفاقه وتطوره	الدكتور عباس حسن محمد
١١ ــ لمحات نفسية في القرآن الكريم	د. عبد الحميد محمد الهاشمي
١٢ ــ السنة في مواجهة الأباطيل	الأستاذ محمد طاهر حكيم
١٣ ــ مولود على الفطرة	الأستاذ حسين أحمد حسون
١٤ ــ دور المسجد في الاسلام	الأستاذ محمد علي مختار
١٥ ــ تاريخ القرآن الكريم	الدكتور محمد سالم محيسن
١٦ ــ البيئة الادارية في الجاهلية وصدر الاسلام	الأستاذ محمد محمود فرغلي
١٧ ــ حقوق المرأة في الاسلام	الدكتور محمد الصادق عفيفي
١٨ ــ القرآن الكريم كتاب أُحكمت آياته [١]	الأستاذ أحمد محمد جمال
١٩ ــ القراءات أحكامها ومصادرها	الدكتور شعبان محمد اسماعيل
٢٠ ــ المعاملات في الشريعة الاسلامية	الدكتور عبد الستار السعيد
٢١ ــ الزكاة فلسفتها وأحكامها	الدكتور علي محمد العماري
٢٢ ــ حقيقة الانسان بين القرآن وتصور العلوم	الدكتور أبو اليزيد العجمي
٢٣ ــ الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا	الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٢٤ ــ الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر	الدكتور عدنان محمد وزان
٢٥ ــ الاسلام والحركات الهدامة	معالي عبد الحميد حمودة
٢٦ ــ تربية النشء في ظل الاسلام	الدكتور محمد محمود عمارة
٢٧ ــ مفهوم ومنهج الاقتصاد الاسلامي	الدكتور محمد شوقي الفنجري
٢٨ ــ وحي الله	الدكتور حسن ضياء الدين عتر
٢٩ ــ حقوق الانسان وواجباته في القرآن	حسن أحمد عبد الرحمن عابدين
٣٠ ــ المنهج الاسلامي في تعليم العلوم الطبيعية	الأستاذ محمد عمر القصار
٣١ ــ القرآن كتاب أحكمت آياته [٢]	الأستاذ أحمد محمد جمال

٣٢ــ الدعوة في الاسلام عقيدة ومنهج	الدكتور السيد رزق الطويل
٣٣ــ الاعلام في المجتمع الاسلامي	الأستاذ حامد عبد الواحد
٣٤ــ الالتزام الديني منهج وسط	عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني
٣٥ــ التربية النفسية في المنهج الاسلامي	الدكتور حسن الشرقاوي
٣٦ــ الاسلام والعلاقات الدولية	الدكتور محمد الصادق عفيفي
٣٧ــ العسكرية الاسلامية ونهضتنا الحضارية	اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ
٣٨ــ معاني الأخوة في الاسلام ومقاصدها	الدكتور محمود محمد بابللي
٣٩ــ النهج الحديث في مختصر علوم الحديث	الدكتور علي محمد نصر
٤٠ــ من التراث الاقتصادي للمسلمين	الدكتور محمد رفعت العوضي
٤١ــ المفاهيم الاقتصادية في الاسلام	د. عبد العليم عبد الرحمن خضر
٤٢ــ الأقليات المسلمة في أفريقيا	الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٤٣ــ الأقليات المسلمة في أوروبا	الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٤٤ــ الأقليات المسلمة في الأمريكتين	الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٤٥ــ الطريق إلى النصر	الأستاذ محمد عبد الله فودة
٤٦ــ الاسلام دعوة حق	الدكتور السيد رزق الطويل
٤٧ــ الاسلام والنظر في آيات الله الكونية	د. محمد عبد الله الشرقاوي
٤٨ــ دحض مفتريات	د. البدراوي عبد الوهاب زهران
٤٩ــ المجاهدون في فطاني	الأستاذ محمد ضياء شهاب
٥٠ــ معجزة خلق الانسان	الدكتور نبيه عبد الرحمن عثمان
٥١ــ مفهوم القيادة في إطار العقيدة الاسلامية	الدكتور سيد عبد الحميد مرسي
٥٢ــ ما يختلف فيه الاسلام عن الفكر الغربي والماركسي	الأستاذ أنور الجندي
٥٣ــ الشورى سلوك والتزام	الدكتور محمود محمد بابللي
٥٤ــ الصبر في ضوء الكتاب والسنة	أسماء عمر فدعق
٥٥ــ مدخل إلى تحصين الأمة	الدكتور أحمد محمد الخراط
٥٦ــ القرآن كتاب أحكمت آياته [٣]	الأستاذ أحمد محمد جمال
٥٧ــ كيف تكون خطيباً	الشيخ عبد الرحمن خلف
٥٨ــ الزواج بغير المسلمين	الشيخ حسن خالد
٥٩ــ نظرات في قصص القرآن	محمد قطب عبد العال
٦٠ــ اللسان العربي والاسلامي معاً في مواجهة التحديات	الدكتور السيد رزق الطويل
٦١ــ بين علم آدم والعلم الحديث	الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي
٦٢ــ المجتمع الاسلامي وحقوق الانسان	الدكتور محمد الصادق عفيفي
٦٣ــ من التراث الاقتصادي للمسلمين [٢]	الدكتور رفعت العوضي
٦٤ــ تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد	الأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة
٦٥ــ لماذا وكيف أسلمت [١]	الشهيد أحمد سامي عبد الله
٦٦ــ أصلح الأديان عقيدة وشريعة	الأستاذ عبد الغفور عطار

طبع بمطابع رابطة العالم الإسلامي ـ مكة المكرمة

من شروط البحث المقدم للسلسلة

١ ـ أن يكون البحث المقدم فى خدمة الدعوة الإسلامية .
٢ ـ ألَّا يكون قد سبق نشره .
٣ ـ أن يكون سالماً من الأخطاء العلمية واللغوية وموثوقاً توثيقاً علمياً مع ذكر المصادر التى اعتمد عليها الباحث .
٤ ـ أن تكون الآيات القرآنية مرقمة مع ذكر السورة ، وكذلك الأحاديث النبوية لا بد أن تكون مخرجة ، وأن تكون الاشارة إلى الآيات والسور والمراجع الأخرى فى هامش أسفل الصفحة .
٥ ـ ألَّا يزيد البحث عن مائة وخمسين صفحة حجم (الفلوسكاب) .
٦ ـ أن يكون البحث مكتوباً على الآلة الكاتبة كتابة جيدة وتبقى صورته لدى المؤلف ولا تلتزم ادارة الصحافة والنشر بإعادة البحث فى حالة عدم نشره .
٧ ـ أن يذيل البحث بأسماء المصادر والمراجع التى اعتمد عليها الباحث ، وفهرس عام للموضوعات مع ذكر نبذة عن حياة المؤلف .

علماً بأن الرابطة تقرر مكافأة تتناسب مع القيمة العلمية للبحث وذلك بعد نشره .

والله الموفق .

حياة المؤلف في سطور ..

- **السيد أحمد المخزنجي**
- من مواليد شهر مارس ١٩٥٧م بمحافظة الشرقية بمصر .
- حصل على ليسانس في القانون من جامعة الزقازيق عام ١٩٨٣م.
- حاز على العديد من الجوائز الثقافية والأدبية «الأولى» على مستوىً الجمهورية من قبل الهيئات الرسمية المعنية ، خلال الفترة من ١٩٨١ ـــ ١٩٨٨مْ ، منْ بينها :
- جائزة «علم النفس والتربية» للمجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة عام ١٩٨٦م.
- جائزة «ثقافة الطفل» الهيئة العامة لقصور الثقافة عام ١٩٨٨م.
- عضو نقابة المحامين ـــ القاهرة ١٩٨٧م.
- عضو اتحاد الكتاب ـــ القاهرة ١٩٩٠م.

مؤلفـــــاته :

- العدل والتسامح الاسلامي ، رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة «دعوة الحق» ١٤٠٧هـ ـــ ١٩٨٧م.
- نظرة تحليلية من كتابات د. محمد حسين هيكل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٧م.
- الأثر السيكلوجي والتربوي لعمل المرأة على شخصية الطفل العربي ، مكتبة التربية لدول الخليج ، الرياض ١٤١٠هـ ـــ ١٩٩٠م.

طبعت بمطابع رابطة العالم الاسلامي في مكة المكرمة